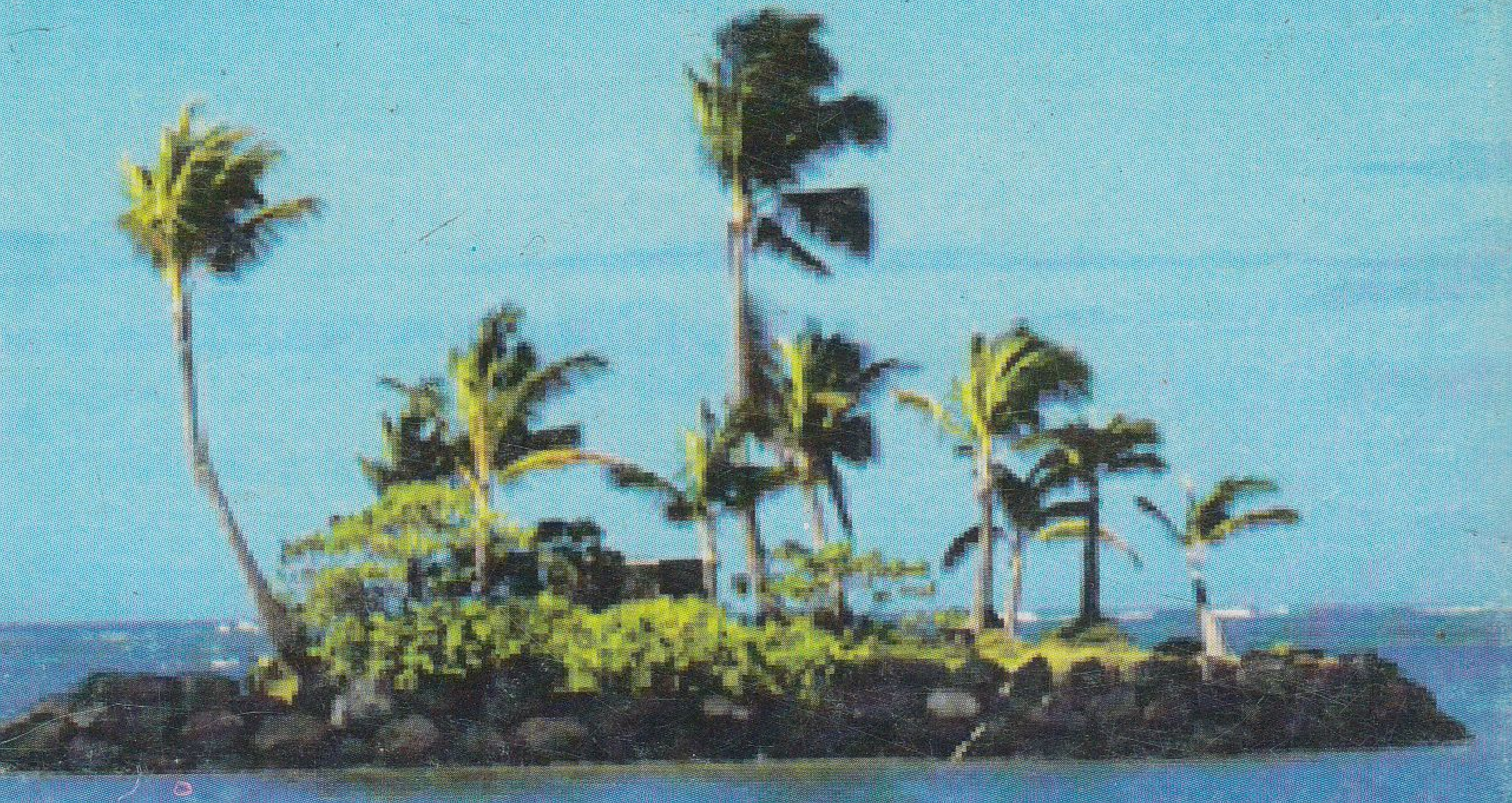
كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ وافهم
روايات إيمانية



هزيمة ملك الأهوال

كنيسة القديسين مار مرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

اقرأ وأفهم
روايات إيمانية



* لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم *



الفصل الأول
أماه ... أتوسل إليك لا تقتلينى

حول مائدة متواضعة ، وفى ليلة من ليالى الصيف تزاحم الأولاد حول والديهم يتناولون وجبة العشاء من الجبنة القريش مع الطماطم بالإضافة إلى طبق الفول المقرّر الرسمى صباحاً ومساءاً ، ورغم بساطة الطعام فإن السعادة تبسط جناحيها على هذه الأسرة التى تعيش مسيحيتها بصدق وأمانة لأنه ليس بالطعام وحده يسعد الإنسان ، ولاشك أن مصدر هذه السعادة ذاك الضيف الغير منظور الذى يرعاهم بحبه ويقوتهم بجسده ويرويهم بدمه .

إنها أسرة بسيطة مستواها المادى تحت المتوسط بمقدار ليس بقليل ، ولكن عم اسكندر رب الأسرة استطاع أن يغرس فى أسرته القناعة والرضى والسلام " إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما " (اتى ٦ : ٨) ... إنهم يعلمون تماماً أن أى شئ ينقصهم لا يقدر أن ينزع سلامهم ما دام

الضيف الغير منظور قائماً فى وسطهم . أما لا قدّر الله لـو تركهم هذا الضيف الغير منظورٍ فإن البيـت حتمـا سيخرب وينهار ... عاشت هذه الأسرة البسـيطة فـي محبـة وافـرة ، وكانت الجلسة المسائية التى تجمعهم عقب العشاء من أجمل الفـرص التـى يمارسـون فيهـا هـذه المحبـة ، فالجلسـة التـى تستمر نحو الساعة كل منهم يُخرج مـا بداخلـه ويقصٌ أهـم أحداث اليوم وطرائفه كانت تمر مثلِ لحظات عابرة ... حقاً أن ساعات السعادة لحظات ولحظات الحزن أيام ...

وبعد إنتهاء العشاء جلس عم اسكندر كالعـادة يحيـط بـه ابنتيه مرثا التى حصلت علـى دبلـوم تجـارة وماكرينـا التـى أنتهت من المرحلة الأعداديـة فـى مواجهـة الأم التـى يحيـط بها ماركو الذى أدى أمتحـان الصـف الثـانى الثانوى وميـنـا الـذى أنتهـى مـن أمتحانـات الصـف الثـانى الإعـدادى .... جلسوا يرتشفون أكواب الليمون المثلـج ويرتشوون مـن نهـر المحبة الخالد ، ومن أجمل ما قيل فـى هـذا المسـاء هـو مـا قصّه مينا عن صديقه نادى الـذى ذهـب لزيـارة عائلتـه فـى أريـاف ملوى ، وفى وقت الغروب خرج يتمشى بين الحقول

وأطال المشى وإذ بكلب مسعور يهجم عليه وينشب أنيابه فى اليّته الصغيرة فيصرخ ، ويُسرع إليه بعض الفلاحين يطردون الكلب ويطاردونه حتى ينجحوا فى قتله ، وعاد نادى إلى البيت وقد بلّلت الدماء ملابسه ، وبلّلت الدموع وجنتيه ... أراد أباه أن يصحبه إلى مستشفى ملوى العام ليأخذ مصل داء الكلب خلال ٢١ أبرة فى ٢١ يوماً كل أبرة لابد أن تنفذ فى جلد البطن وتسبب آلاماً مبرحة ، ولكن جد نادى رفض هذا قائلاً : وليه العذاب ده ؟

طول عمرنا تعضّنا الكلاب ولا مرة رحنا للمستشفى .

الأب : يا بويا اللى ما يخدش المصل بيهوهو.. يهوهو .. ويموت زى ما حصل مع حميده وغيره وغيره .

الجد : يا ولدى وابونا جرجس راح فين ؟

ربنا يطول عمره ويصللينا ابوتربو .

وفى الغد توجه نادى بصحبه جده إلى منزل ابونا جرجس يحملون الفطير والجبنة القريش والبلح ومعهم سبعة شمامسة دون سن البلوغ ... جلس ابونا مع نادى على الحصيرة وأمامهما طبلية عليها سبع فطيرات ، وسبع قطع

الجُبن ، وسبع بلحات منزوعة النوى ، ودورق مملوء بالماء وفوطة ... أحاط بهما الشمامسة السبعة فى دائرة كل منهما يمسك بكف أخيه وأخذوا يلفون سبع لفات ذات اليمين ثم سبع أخرى ذات اليسار وهم يرددون اللحن الآتى :

بيستيه با ... باس اششير....

بيريكاس ... شارراس ... او ابثاس ...

كيرشن ... بارشن ...

سوُبِنين ... سوُكينين ... بيستيربو ...

وبعد إنتهاء الدوات تقدم أحد الشمامسة إلى الأب الكاهن قائلاً : السلام لك يا أبى .

الكاهن : السلام لك يا أبنى ... ماذا تطلب ؟

الشماس : أطلب الشفاء والعفاء من عند الله الآب والأبن والروح القدس بصلوات القديس ابو تربو.

يقدم له الأب الكاهن الفطيرة مثنية وفى جوفها بلحة فيهوهو الشماس مرتين هو ... هو، وفى المرة الثالثة هـ (يقطم باسنانه قطعة من الفطيرة وداخلها البلحة) ثم يعطيها للأب الكاهن الذى يضعها فى الفوطة ويلفها أول لفة ...

وهكذا يفعل بقية الشمامسة واحدا وراء الأخر مردداً نفس الحديث ونفس الطلبة ، وابونا يأخذ قطع الفطير ويضعها فى الفوطة ويلفها لفة تلو اللفة ، ثم ينهض الكاهن ويصلى أوشية المرضى وبعض الصلوات ...

عاد نادى مع جده يحمل الجُبن والماء والفوطة وما تحويه ، وأخذ كل يوم عوضاً عن إبرة المصل المؤلمة جداً يأكل قطعة فطير وبداخلها البلحة مع قطعة من الجُبن ويشرب قليل من الماء المُصلى عليه وفى خلال سبعة أيام وليس واحد وعشرين يوماً نال الشفاء الكامل ، ولم يهوهو ولم يقو عليه الموت ، وهذا الطقس منتشراً جداً فى صعيد مصر يمارسه الجميع مسيحيون وغير مسيحيين .

الأب : وهل تعرف معنى كلمات اللحن يا مينا ؟

مينا : أعرف أنها كلمات يونانى ، وأنا لست يونانياً .

الأب : أن هذه الكلمات ومعناها مدون فى كتاب صلوات الخدمات .

أسرع ماركو إلى كتاب صلوات الخدمات وقرأ الترجمة باللغة العربية حيث يخاطب هؤلاء الشمامسة

الشخص الذى عضّه الكلب قائلين :

آمن أنك ستشفى بالمرة ، وأنك ستُخلص مـن دائـك بقـوة وبفرح من الوهاب المنعم . الأول الفـائق .. لـك المجـد الآن وكل اوان . يا أيها الشافى .

سعدت الأسرة بهذه القصة ولكن مزاج الأم كان متوعكـاً وهى تحاول جاهدة إخفـاء مـا بداخلهـا ، وقـد أرتسـم علـى وجهها أبتسامة باهته مما دعى مينا أن يسألها :

هو أنت تعبانه يا ماما ؟

الأم : حاجة بسيطة يا مينا .

ماركو : مالك يا ست أم ماركو ؟

الأم : رأسى مش مظبوطه شوية .

أخذ الأبناء يطمئنّون على أمهـم وكـل منهـم يقـدم محبتـه ويعرض خدماته أما الأب فأكتفى بتعليقـات بسـيطة ، وكـأن هناك أمر دفين يعرفه هو وزوجته ويجهله الأبناء .

وفى نهاية السهرة قرأت الأسرة حسب عادتها الإنجيل ، وكانت القراءة من إنجيل معلمنا يوحنا الحبيب :

" المراة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت . ولكن

متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدّة لسبب الفرح لأنه قد وُلد إنسان فى العالم " (يو ١٦ : ٢١،٢٢) .

مينا : دائما أحلم بإنه يكون لى أخ أصغر منى ألعب معه .

وخُتمت الجلسة كالعادة بصلاة النوم وذهب الأولاد إلى حجرتهم وأتجه الأب والأم إلى حجرتهما ، وفى حجرة الأولاد دار الحديث والنقاش مثلما يحدث فى كل ليلة من ليالى الصيف ، ولكن هذه المرة كان التساؤل يدور حول تعب الأم وكل منهم يستنتج ويتوقع ويُخمِّن ... أما فى حجرة الوالدين فدارت المناقشة الهامسة :

الأب : هل سمعت ياسعاد صوت ربنا فى الإنجيل هذه الليلة ، وصوته على لسان مينا ؟

سعاد : نعم ... ولكن كيف يكون منظرى أمام أولادى وأخواتى وجيرانى وزميلاتى فى العمل ، وفى الكنيسة .. كيف أستطيع أن أتحدى نظراتهم ؟ ... أنا لا أستطيع أن أتصوّر هذا المنظر أبداً بعد ما أولادنا كبروا .

الأب : يا ستى هو علشان الناس نزعل ربنا .

الأم : ما هو ربنا شايف وعارف ظروفنا كويس ...

المشكلة كلهـا فـى ابونـا حنانيـا اللـى حبّكهـا قـوى .. آه لـو يدينى حل ...

الأب : لا أبونا حنانيا ولا أى أب أخر يقدر أن يعطيك حـل ويكسر وصايا الإنجيل .

الأم : خلاص .. أنا هأستلف ٢٠٠ جنيه من " رينية " بنت خالتى ، وأذهب معها إلى الدكتور نصحـى ، وبعديـن أروح أعترف ... ما أنت شايف صحتى لم تعد تحتمل .

الأب : وأفرضـى لا قـدر اللـه أن حيـاتك أنتهـت وأنـت فـى العملية ... كيف تلتقين بالله ؟ وبأى وجه تقفين أمامه ؟ بـل كيف تواجهين أبنك الذى يتقدم إلـى القضـاء يشـكو قسوتك وأجرامك ؟

الأم : كفى يا سكندر كفى .. أنـت لا تهتـم بشـئ ولا يهمـك شئ ... شوف الشقة وأولادك الأربعة فى حجرة واحدة ...

الأب : أنا عارف أن ربنا لا ينسى أحد ، وهـو دبـرّ ويدبـر كـل أمورنـا ، وأن كـان شـكلك أمـام الأولاد يُشـغلك أنـا حاتصرف وأبلغهم الخبر بهدوء .

انسابت دموع الأم وقالت : أنت يا سكندر لا تقدّر ظروفى.

الأب : صدقينى يا سعاد إننى أقدّر ظروفك جداً جداً ، ولكن كيف أوافقك على ارتكاب جريمة قتل ؟!

أمضت الأم معظم الليل فى سُهاد ، وقُرب الصباح راحت فى غفوة وإذ بها ترى حُلماً جميلاً أستيقظت بعده لتجد فراشها قد تبللت بالدموع ، وقد غيرت رأيها ١٨٠ درجة مما جعل اسكندر يلح عليها لمعرفة السبب فقالت له :

رأيت فى حُلم أننا جالسون معا كالعادة وأقبلَ على طفل صغير جميل الصورة ولا يكاد يعرف الكلام .. ينظر إلىّ فى حزن وآسى .. سألته : من أنت ؟

أجاب : أنا أبنك .

قلت : ما أسمك ؟

أجاب : ميخائيل .

قلت : ليس لى أولاد بهذا الإسم الجميل .

قال : كلا .. كلا يا أماه ... لقد أهداك الله إياى وأنت وأنت .....

بكى الطفل وأنا أخذت اهدء من روعه وأقول : وأنا مالى يا بنى ؟

قال : أنت تريدين قتلى .. نعم تريدين قتلى ...

أماه .. أتوسَّل إليك لا تقتلينى .

أماه .. أتوسَّل إليك لا تقتلينى .

عندئذ ضممّت ميخائيل إلى صدرى وقلت :

أعدك يا أبنى إننى لن أقتلك .. سأتمسك بك بل إننى مستعدة تماماً أن أضحى بحياتى من أجلك .

شكر اسكندر الله الذى أستجاب إلى دعواته ، وأعطى مزاجاً حسناً لزوجته ، وأخذ يتحيَّن الفرصة لإختلائه بأولاده بعيداً عن الأم حتى وجدهم جميعاً فى حجرتهم عقب الغذاء والأم مشغولة فى المطبخ تغسل الأطباق فأستهل حديثه معهم قائلاً :

يا ولادى أن الله الذى يحبنا مزمع أن يرسل لنا هدية جميلة .. ماذا تظنون أن تكون هذه الهدية ؟

أجابت مرثا وماكرينا : أخت جميلة مثلنا.

وفى نفس الوقت أجاب ماركو ومينا : ولد شقى مثلنا .

دُهش الأب وكانه سقط فى مازق وبأءت خطته بالفشل ، ولم يعرف كيف يكمل الحديث بعد أن أتوا له بنهاية الكلام وأعلنوا النتيجة النهائية للأمتحان فى لحظات .. فعلام الحديث ؟! يريد أن يقول لهم أن الضيف القادم ولد ويدعى ميخائيل ولكنه لم يستطع .

شعر الأولاد الأذكياء ما ظهر على أبيهم من أرتباك فأكملوا هم الحديث .. قالت مرثا :

أنا إنتهيت من دراستى وسأتولى الأهتمام بالضيفة الجديدة .

ماركو : وأنا سأعمل خلال فترة الصيف حتى أوفر احتياجاتى خلال الدراسة ولا أثقل عليكم .

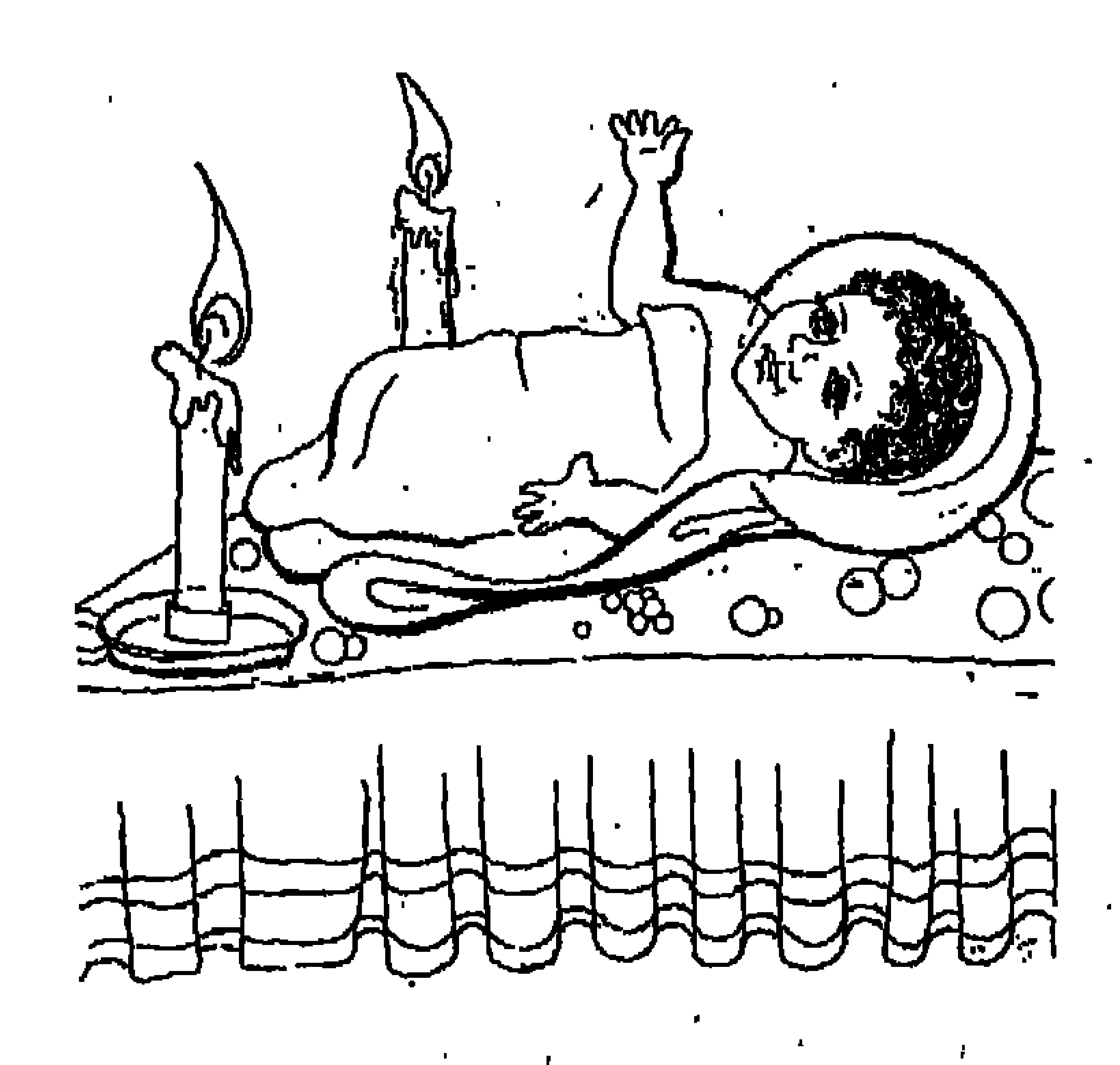
ماكرينا : وأنا سأصلى لكى يوسع الله فى رزقك يا بابا ويرزقك الله الأولاد المباركين الذين يُقر الله بهم عينيك .

مينا : وأنا مبسوط أن ماركو سيعمل ويقبض .. كدا ضمنت مصروف إضافى !

وفى المساء جلست الأسرة ترفل فى ثياب السعادة ، وترتوى من نهر المحبة ، والأم سعيدة وكأنه زال عن قلبها ثقل عظيم ... سريعاً مرت الأيام ، وفى ليلة لا يعرفها أحد

سُمع فى البيت صرخة الحياة للضيف المنتظر ، وتحقق أمل ماركو ومينا فى قدوم ميخائيل أخ ثالث لهما .

وفى أحدى أمسيات الصيف وقد بلغ ميخائيل الثالثة من عمره جلست الأسرة كالعادة عقب العشاء تستمع إلى مينا الذى يقصّ عليهم أحدى مغامرات صديقه نادى قائلاً :



الفصل الثانى

يا ملك الأهوال ... أتوسل إليك لا تحطمنى

قال مينا : ذهب صديقى نادى مع أسرته كالعادة إلى أرياف ملوى ، وهناك أستمتع بوقته ولا سيما بالحديث مع رفقة إبنة عمته التى كان معجباً بها ويتصوَّر أنها تحبه جداً ولا تستغنى عنه أبداً ، وفى أحد المرات تجرأ وقال لها : رفقة ... أنا أحبك .. وأنت ؟

فأجابته فى لمح البصر : نادى .. وأنا أحبك .

وقبل أن تنطق كلمتها الأخيرة كانت قد هوت بصفعة قوية على وجهه ، ثم أكملت حديثها باللهجة الصعيدية .. " إننى أحبك زى ما بأحب أخوُى .. لما تُوكّل نفسك تبقى تحب "

عندئذ تذكَّر نادى حديثه مع أب أعترافه عندما أبدى إعجابه برفقة وفكرَّ فى الزواج منها ، فقال له أب أعترافه يا نادى .. أنت إنسان عاطفى .. كلما تحدثت معك فتاة

كلمتين ظننت أنها تحبك ومُغرمة بك .. يا أبنى ليس هذا زمن الحب .. الآن زمن الدراسة والجهاد .

نادى : يا أبى أنا معجب برفقة ، ومتأكد من حبها لى .

الأب الكاهن : يا أبنى ما رأيك لو أعجبتك ساعة ثمينة معروضة فى فاترينه محل .. هل تكسر الزجاج لكيما تأخذها لنفسك ؟

نادى : الذى يفعل هذا شخص غير سوى ، ويعرض نفسه للعقوبة

الأب الكاهن : ولو أعجبتك أيقونة جميلة فى الكنيسة هل تنتزعها من مكانها وتقتنيها لك ؟

نادى : الذى يفعل هذا لا يستحق أن يكون إبناً للكنيسة .

الأب الكاهن : هكذا يا أبنى الأعجاب شئ ، ومحاولة أقتناء الشئ فى غير أوانه شئ أخر .. غداً عندما تنتهى من دراستك لك أن تخطب الإنسانة المناسبة وتتزوجها وتحبها من كل قلبك كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها

علقّ ماركو قائلاً : هانت باقى سنتين أترك أعمال النقاشة مع المعلم شوقى وأنتهى من الفنون الجميلة

وأبحث عن رفقتي .

فقالت ماكرينا التي ألتحقت بكلية التربية : ولكن أحذر يا أخي لئلا تكون رفقتك من ملوى .

طالت هذه الأمسية وكان لها طعماً خاصاً عن كل أمسية مضت ، وميخائيل الذي قارب الثالثة من عمره يلهو تحت المائدة يعاكس هذا ويشاغب ذاك ، وشعر عم اسكندر بسعادة غامرة بسبب وجوده وسط هذه الأسرة السعيدة ، ولأول مرة يشعر بإنه فخور بأولاده . أما الأم فنظرت إلى حبيبها ميخائيل وثارت في نفسها التساؤلات ووقفت تُحَاكم أمام الضمير :

كيف كنت أفكر في الخلاص من ميخائيل ؟

كيف كنت أفكر في قتله ؟

كيف ؟ وكيف ؟ وكيف ؟

لاحظ الأب صمت الأم فسألها : ماذا بك يا ست الكل ؟

الأم : سلامتك يا سيدي .

الأب : أنا شايف ..

لم يكمل عم اسكندر كلامه إلاَّ وشعر بالآم رهيبة لا

تحتمل تفاجئه فأمال برأسه وقبض على صدره يريد أن يوقف الخنجر الذى نفذ إلى صدره .. حدث هرج ومرج .. ماركو ومينا يحملان أبيهما إلى سريره.. الأب يقبض على يد أبنه ماركو ويهمس فى أذنه : لا تقلق يا أبنى .. الله هو رب البيت .. هو المسئول عنكم ... اتق الله ... ولا تنسى وصاياه .

مرثا تحضر كوب ماء محلى بالسكر ، وماكرينا تحضر أدوية القلب .. ماركو يركض فى الشارع يبحث عن طبيب .. الأم تدلك القلب .. الأب ينادى هامساً : يا ربى يسوع المسيح .. فى يديك أستودع روحى .

حضر الطبيب وخلفه الجيران ولكن السر الإلهى كان قد خرج ونفذت المشيئة الإلهية ، وصمت الأب إلى الأبد ، والطفل ميخائيل مازال يلهو ولا يدرك ما الحدث ..

سريعاً حضر ابونا حنانيا مع بعض خدام كنيسة الشهيدين ، ولا سيما أن هذه الأسرة قد أرتبطت أرتباطاً شديداً بالجو الكنسى والخدمة فى هذه البيعة الوديعة .. رتب أبونا حنانيا مع ماركو ومينا والخدام كافة الأجراءات ،

ورغم أن الشقة قد ضاقت بالمحبين الذين جاملهم عم اسكندر فى حياته إلاّ أن الصمت خيّم على المكان ، واختفت كافة الألوان سريعاً بعد أن أفسحت المجال للون الأسود الذى طغىٰ وتجبَّر ، واخذت الست رينية ميخائيل وأرسلته إلى منزلها حتى لا يعاين أباه مسجياً على سريره ، وأمه تبكى وتنتحب فى صمت وسكون .

بدأ الناس ينصرفون وأنصرف أبونا مع الخدام ، وأحاط الأولاد المباركون مع أمهم بجثمان أبيهم الذى يقضي ليلته الأخيرة على سريره وهم يصلون صلاة نصف الليل بخدماتها الثلاثة ، ويقرأون الإنجيل ، ثم يصلون صلوات التسبحة بألحانها وهم يغبطون هذا الأب الذى أرضى الرب طوال حياته .. أقتربت الساعة من الثالثة صباحاً فطلبت الأم من أولادها أن يستريحوا الساعات القليلة الباقية حتى يستطيعوا أن يستكملوا اليوم الطويل ...

وفى الصباح سارت الأمور بحسبما رتبها ابونا حنانيا ، وفى الثانية عشر وقت رفع مخلصنا الصالح علي عود الصليب كانت الكنيسة قد ازدحمت بالمشيعين يشيعون هذا

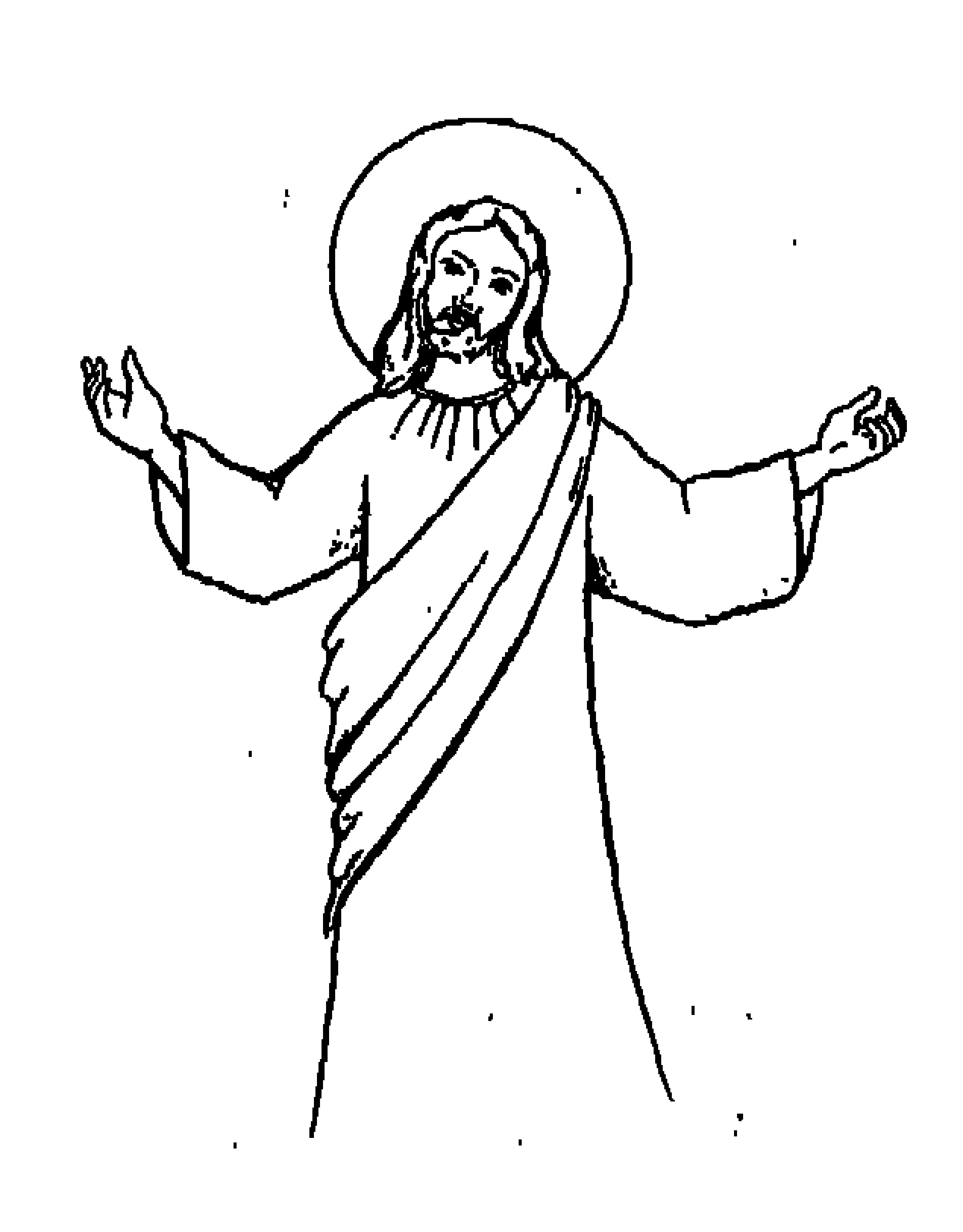
الرجل الأمين ويطوِّبونه .. وفى الواخدة والنصف فتح القبر فاه ليحوى فى جوفه جسد هذا الرجل المبارك اسكندر يسى وسط همسات المحبين الذين انسابت دموعهم ...

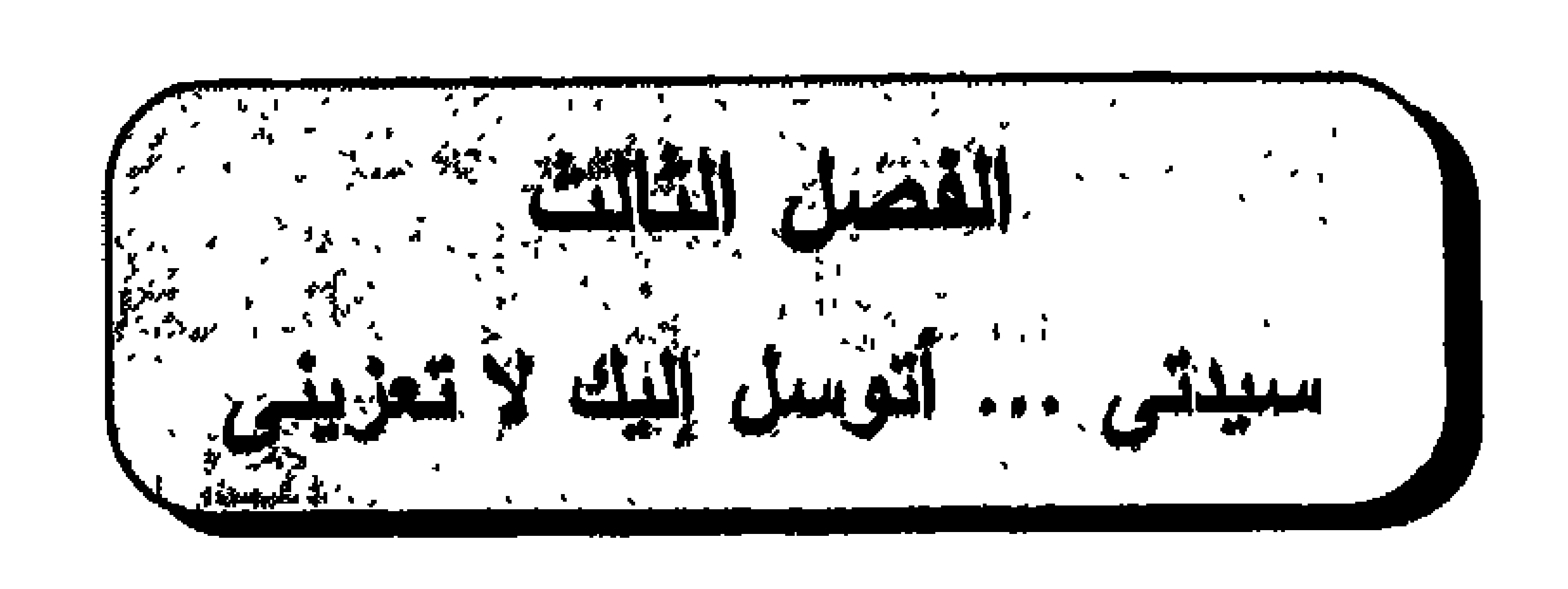
همس أحدهم قائلاً : ويُساق إلى ملك الأهوال ...

وهمس ثان : أى إنسان يحيا ولا يرى الموت ...

وتنهد ثالث : أخر عدو يبطل هو الموت ...

وتحدث رابع : والموت لا يكون فيما بعد .





عادت الأسرة إلى منزلها حيث تجمع الرجال فى سرادق متواضعة أمام المنزل ، وفتح الأستاذ سامى شقته المتسعة المقابلة لإستقبال عزاء السيدات بالإضافة إلى شقة المرحوم اسكندر .. أقبلت النسوة يُقدمنّ تعازيهنّ للأم وبناتها ، ورغم أن الحزن يلقى بظلاله على المكان إلاّ أن الهدوء قد خيَّم على المكان حتى حضرت الست أم كريمة ترقع بالصوت الحيانى فأثارت الجميع بالبكاء والعويل وهى تُشعلل الموقف بالكلمات المؤثرة المرتبة المتجانسة ، وبينما أجهشنّ النسوة بالبكاء لم تذرف أم كريمة دمعة واحدة .. جلست بجوار الأم المكلومة ولا تكف عن الثرثرة :

ربنا يعزيك يا حبيبتى .. أنا جاية من جنازة الأستاذ فهمى الرجل الطيب ...

وبدأت تقص كل شئ عن الرجل الطيب وأسرته وأولاده

وبناته .. ماهو معلوم عنه وماهو يعتبر من آخص خصائص الأسرة .. ثم بدأت تتسأل وتستقصى عن الرجل الطيب إسكندر :

كيف مات ؟ هل كان يعانى من مرض ؟ وأى مرض ؟ هل كان الدواء متوفر له ؟ لماذا لم يذهب إلى الدكتور فلان الذى عالج فلان وفلان وشفى ناس وصلت للموت ؟

هل أبلغتم عمله ؟ وهل حضر زملائه ؟ وهل قاموا بعمل الواجب ؟ ألم تكلفونهم بإنهاء أجراءات المعاش ؟ كم كان راتبه ؟ هل كان يتقاضى أجور متغيرة من حوافز وإضافى وبدلات وغيره ؟ .. وخلى بالك يا ست أم ماركو مصاريف الجنازة شهرين ، وبدل الأجازات ٤ شهور ، وشوفى كويس صندوق الزماله هيصرف كام ...

وهل المعاش سيكفيكم يا زوجى ؟ أليس من المفروض أن ابونا حنانيا يصرف لكم معونة شهرية من لجنة البر ؟ ولو أن ابونا معدش يهتم بعد ما بدأ يبص لفوق ... للناس الكبار .

يا ست أم ماركو لا تقلقى ... فى عريس ممتاز وإبن

حلال لمرثا بس الوقت مش مناسب .. بعد الأربعين على طول نعمل الخطوبة ، وزواج مرثا واخواتها يكون على ايدى .. أمال أيه يا أختى ؟ .. ده واجب علىّ يا حبيبتى والعِشرة ما تهونش إلاّ على ابن الحرام ... هو أنا لى أعز منكم .

لم تكف أم كريمة عن طرقات المعاول التى تنهال بها على قلب أم ماركو التى كانت لا ترد عليها إلاّ بكلمات قليلة " ربنا موجود " ... " ربنا يدبَّر " ، ولسان حالها يقول لها :

أختاه ... أتوسل إليك كفاكِ تساؤلات .

أختاه ... أتوسل إليك كفاكِ تحقيقات .

أختاه ... أتوسل إليك كفاكِ لا تعزينى .

أختاه ... أتوسل إليك كفاكِ .. لا تعذبينى .

ولم ينقذ أم ماركو إلاّ إحدى الخادمات التى وقفت تفتح الإنجيل فما لمحتها أم كريمة إلاّ وأدبرت من المكان متعللة بألف علة وعِلة ... انسابت كلمات النعمة والتعزية من فم هذه الخادمة المباركة مما أزال الكثير من الإثارة

والضوضاء والأزعاج الذى احدثته أم كريمة .

ثم وقفت الأخت مارتيا الثلاثية تقدم تعزيتها مما دعى بعض الحاضرات اللآتى يعرفنها للتبسُم ... لماذا ؟

لأنها تحفظ ثلاث عظات لمثل هذه المناسبات عن ظهر قلب .. فبدأت حديثها وهنّ يكملنّ لها ... وهمست إحدى الحاضرات وهى تبتسم في الخفاء : إنها مثل الأخ ماجد الذى يكرر العظة باللفظ الواحد .

وهمست أخرى : المهم أنه بيغير الشادر .

ونحو الساعة الحادية عشر كان الجميع قد انصرفوا رجالاً ونساءاً بعد يوم طويل مضى ولكنهم يذكرون مواقف المحبة لابونا حنانيا وللخدام الذى قدموا الكثير ولا سيما الأخوة الذين أصرّوا على ترك بعض المبالغ على سبيل السُلفة ، وفى هذا الوقت أصر ميخائيل على العودة إلى منزله فوجد الأمور قد تغيرت وتبدّلت وعرف أن أباه قد ذهب إلى السماء ولن يعود ثانية فألقى بنفسه فى أحضان أمه متشبساً بها لئلا تذهب هى أيضا إلى السماء .. وفى تلك الليلة كفّ ميخائيل عن حركاته الكثيرة ، ومات لهوه

ومرحه عنه ، وخط الحزن صورته على جبينه مما دعى أمه وأخوته أن يسبغوا العطف والشفقة عليه .

وفى الصباح نهض ميخائيل نشيطاً فرحاً مستبشراً .. عاد إلى حركاته ولهوه ولعبه ، وكلما جاء أسم أبيه على لسان أحد يبتسم أبتسامة عريضة وكأنه فخور به ...

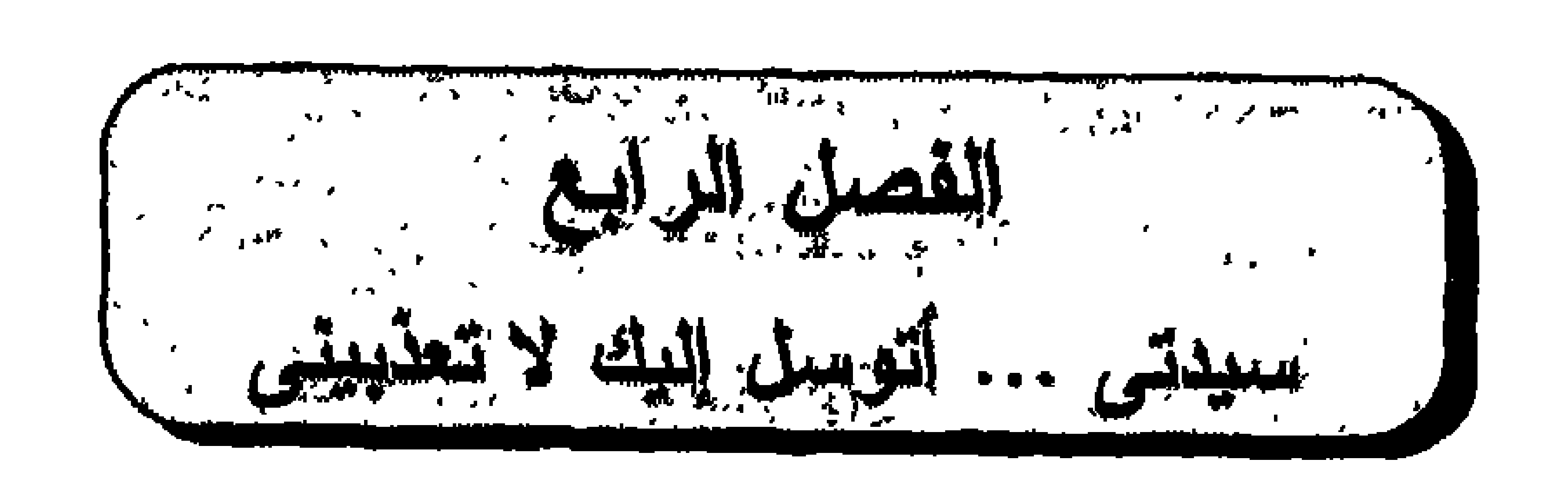
تُرى ما الذى حول ميخائيل من الحزن العميق إلى الفرح العظيم ؟!

تُرى هل رأى أبيه ينعم فى كورة الأحياء ؟!

تُرى هل الآب السماوى كشف له عن أمجاد أبيه اسكندر ؟!

لقد صار ميخائيل مصدر عزاء لأسرته وذويه ....





الفصل الرابع

سيدتى ... أتوسل إليك لا تعذبينى

عادت ماكرينا إلى كُلّيتها بعد انقطاع عدة أيام ، وقد ظهرت رغم ملابس الحداد أكثر جمالاً ووقاراً ... شعرت أن زميلها عادل يتودد إليها كثيراً ويظهر لها العطف اشكالاً وألواناً ... قدم لها المحاضرات التى لم تحضرها فى كشكول مُنمّق فاعتذرت بأدب جم ... حاول التسلل إلى قلبها متصوراً أنها تعيش فى احتياج عاطفى ، وهو لا يدرك أن إنتقال أبيها جعلها تتشبث أكثر بالسماء ، ومع هذا فإنه لم ييأس عن طرق باب قلبها بطريقة أو بأخرى متفنناً فى إيجاد مناسبات للحديث الودى الناعم ، أما هى فقد أوصدت قلبها تماماً ضد أى محاولات صبيانية ... كانت تشعر دائما بأن أباها يراقبها ويتابع خطواتها ، فصورته دائما ماثلة أمامها ، ولو حدث وأرتكبت خطأً بسيطاً تشعر بالخجل منه وترنو بنظراتها إلى أسفل . أما عندما تتعرض

لموقف صعب فإنها تشعر أنه واقف بجوارها يشد من أزرها ويدافع عنها ...

عجباً ... هل صارت السماء قريبة من الأرض بهذه الدرجة ؟!

مرّ اليوم أربعون يوماً على إنتقال أبيها وقد تعزّت كثيراً مع أسرتها بقداس الأربعين ، وعاد الأحباء يقدمون تعازيهم لأرملة الفقيد وأولادها ... هذا اليوم ذكّر الأم بيوم أربعين أبيها عندما كانت فى الخامسة من عمرها وقد تجمع الشعب فى عصر ذاك اليوم حول صورة أبيها المجللة بالسواد ، واعادت الألحان الحزاينى مع حرقة الفراق البكاء والنوح والصراخ وقد فقدوا كل تعزية .. شكرت الأم الله الذى أرشد أباء الكنيسة إلى الغاء مثل هذه التذكارات الصعبة .

وفى مساء اليوم جاءت الست أم كريمة حسب وعدها تصحب معها احدى السيدات مع ابنها ... أخذت أم كريمة تمدح وتُفخّم فى هذا الشاب الذى حصل بجهده الجبار على الأعدادية والآن يعمل فى مكتب الأستاذ أديب المحامى .. إنه وكيل المحامى الذى يثق فيه أكثر من ثقته فى نفسه .. إلخ

لقد جاء يطلب يد مرثا ، وأمه التى تحبه ستهبة حجرة خاصة من شقتها ذات الحجرتين ... قدمت مرثا القهوة السادة ، وأم كريمة ظهر على وجهها التشاؤم وكانت تريد أن تصرخ في وجهها : هل هذا وقته ؟

المهم أنها تمالكت أعصابها وطلبت رداً من الست أم ماركو ، وإنها لن تكلفها إلاّ حجرة نوم بكامل مستلزماتها في حدود عشرة آلاف جنيها ... طلبت أم ماركو فرصة لترد عليها والله يقدم ما فيه الخير ، ولكن الست أم كريمة لم تسمح لها بهذه الفرصة للتفكير والسؤال عن العريس وأهله ، وعندما صرّحت أم ماركو بإنهم لا يملكون ثمن حجرة النوم أنسلّ العريس وتبعته أمه وأم كريمة وانتهى اللقاء .

لم يكف ابونا حنانيا عن السؤال عن هذه الأسرة الكريمة وكان يجتهد في تقديم المساعدة لها ، إلاّ أن الأم أوصدت جميع الأبواب أمامه فلم تقبل أى مساعدة كبيرة أو صغيرة .. مالية أو عينية ، ومع هذا فإن ابونا حنانيا نجح فى اقناع الأم بأن تقبل ماكينة خياطة من الكنيسة وتسدد ثمنها متى سمحت الظروف بذلك وكلف تاسونى فاتن المسئولة عن

المشغل بتعليمها حياكة فساتين المنزل .. تعلمت الأم الحياكة وأرسل لها أبونا حنانيا الكثيرات من بناته ليحكنّ فساتينهنّ لدى الست أم ماركو التى أثارت أعجابهنّ جميعاً بقناعتها وعدم قبولها أجراً زائداً عما تستحق ....

وفى أحد الأيام جاءت الست عنايات تطلب من أم ماركو تفصيل فستان للخروج ولكن أم ماركو أعتذرت لقلة خبرتها ، فلم تتركها الست عنايات بل صارت تقنعها بأن العملية بسيطة وسهّلت لها المهمة جداً وأخذت تلح عليها لأنها تعبت كثيراً من الخياطات الأخريات ، واخيراً قبلت أم ماركو هذه المهمة على مضّض ، واجتهدت كثيراً جداً فى حياكة الفستان حسب طلب صاحبته ، وقد أجرت لها عدّة بروفات ، وعندما أنتهى أظهرت الست عنايات أستياءها الشديد وأطلقت لسانها السليط على الأرملة الغلبانة تصرخ فى وجهها :

مادمت لا تعرفين الخياطة لماذا تحشرين نفسك فيها ؟!

تقدرى تدفعى ثمن القماش ده ولا ثمن متر منه ؟

هو أنت فاكراه فستان بيت بعشر قروش ؟

ومع كل هذه الصفاقة والأرملة تحاول تهدئتها والأعتذار لها ولسان حالها يصرخ :

سيدتى .. أتوسل إليك لا تعذبينى .

سيدتى .. أتوسل إليك لا تعذبينى .

ورغم أن مرثا وماكرينا تدخلنا لتهدئة الست عنايات والتعهد بدفع ثمن القماش على أقساط لكنها لم تكف عن تبكيت الأم بقسوة وشراسة وكأن هذا الفستان يمثل كل ما تملكه ، وأخيراً إنصرفت دون أن تدفع مليماً واحداً من أجرته ولا قيمة ما صُرف عليه من أزرار وخيط وخلافه .. والحقيقة أن الفستان لم يكن بهذه الرداءة وإنما الست عنايات فعلت ما فعلت حتى لا تدفع العشرة جنيهات قيمة الحياكة .

مَّرت الأيام والأم تكدّ وتجتهد من أجل ابنائها ، والشمعة تذوب وتحترق لكيما تضئ .. فى العمل عاشت بأمانة كاملة وفى المنزل لا تكف عن مراعاه كل احتياجات أولادها حسب طاقتها ... تسهر الليالى الطوال فى حياكة فساتين البيت حيث تتقاضى أجراً زهيداً ، بالإضافة إلى

راتبها والمعاش البسيط ولكن مصاريف الدراسة تلتهم كل شئ ... وكم كانت سعادتها عندما إستطاعت أن تسدد قيمة ماكينة الخياطة إلى الكنيسة !

وفى أسبوع الآلام أتصل بها أخيها شفيق وأخبرها أنه سيحضر لزيارتها مع أولاده صباح العيد ... اشترت الأم زوج فراخ واجتهدت مرثا وماكرينا فى إعداد الطعام ، وفى الساعة الأولى من صباح أحد القيامة عقب قداس العيد جلست الأسرة حول مائدة المحبة التى لا تحمل إلاّ أطباق صغيرة من الشربة واجنحة وأرجل الفراخ بالإضافة إلى طبق الجبنة القريش بالزيت مما دعى ميخائيل للتساؤل :

أين الفراخ يا ماما ؟!

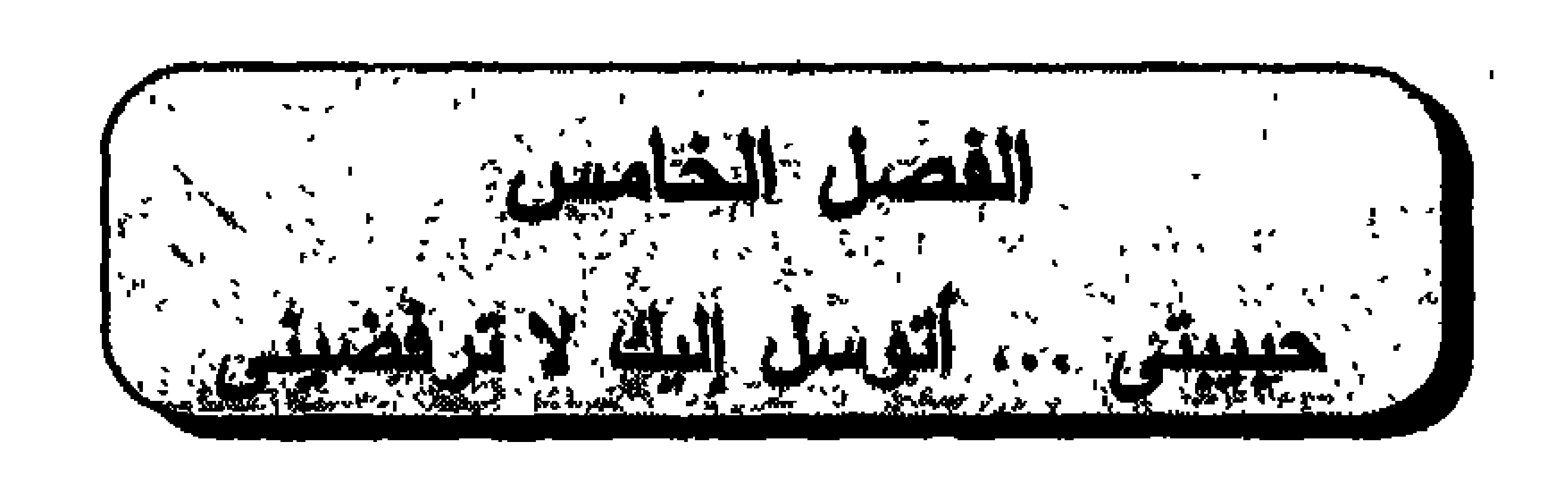
هل الصوم لم ينته بعد ؟!

الأم : الفراخ سنأكلها غداً ياحبيبى مع خالك شفيق إن شاء الله .

وفى اليوم التالى انتظرت الأسرة الخال الشفوق حتى الرابعة بعد الظهر ولم يحضر ، والفراخ مازال الحكم ساريا عليها بوقف التنفيذ ، وأكتفت الأسرة بتناول غذاء

العيد من الخضار والأرز وطبق المش ، وفى المساء كان الأولاد ينتظرون اللقاء مع الفراخ الوقف ولكن خالهم العزيز أتصل يُخبرهم بأن حضوره قد تَعَّذر لظروف خارجة عن إرادته ولكنه سيحضر غداً فى شم النسيم إن شاء الله .. أذن يظل الوضع قائماً كما هو عليه ، ومرّ شم النسيم ولم يحضر الخال فاضطروا إلى أكل الفراخ مساء الأثنين وظهر الثلاثاء بعد أن فقدوا الأمل فى حضور خالهم واولاده ، ولكن الأم فوجئت بقدوم أخيها مع أبنائه يوم الأربعاء ، فاضطرت أن تتصرف وتشترى زوج فراخ ثان ، وكانت حادثه فريدة أن تأكل هذه الأسرة فراخ على مدار ثلاثة أيام مما جعل ميخائيل يتهامس مع أخوته : ربنا يخلى خاله الى أكّلنا الفراخ ثلاثة أيام .





مرّت الأيام وتبدّلت وتغيرت الأحوال لأن دوام الحال من المحال ، ومهما أشتدت ظلمة الليل لابد للفجر أن يفجرها ولابد للشمس أن تبدّدها ، ولكن فى جميع الظروف حافظت أسرة المرحوم اسكندر يسى على تماسكها الشديد وكيانها ، وهذه هى طبيعة الأم كما يقولون " الأم تعشش والأب يطفش " وإن كان نصف هذا المثل ينطبق تماماً على هذه الأم فإن النصف الأخر لا ينطبق على زوجها الذى غرس فى أسرته المبادئ المسيحية السامية .

انتهى ماركو من دراسته بكلية الفنون الجميلة ، والتحق بمكتب المهندس الشاب الظريف " شادى " فنال ثقته واعجابه بفضل جدُّه ونشاطه وأمانته وحرصه الشديد على كل أعمال المكتب أكثر من المهندس شادى نفسه .. كما نجح ماركو فى جميع علاقات العمل الخاصة بالمكتب

بسبب إتضاعه وحلاوة لسانه وصدقه .. أيضا إنتهت ماكرينا من دراستها بكلية التربية واستلمت عملها كمدرسة للرياضيات فى مدرسة سعد زغلول الأعدادية ، وكانت تسعى جاهدة للحصول على حصص الدين مجاناً فوق نصابها القانونى ، وتهتم جداً بالتحضير الجيد فاحبتها العذارى واعتبروها أمهنّ الروحية . أما هى فكانت تعتبر أن هذه الدروس هى أمتداد لخدمتها فى أسرة القديسة بوتامينا بكنسية الشهيدين .. كل بنت وجدت لها مكاناً ومكانة فى قلب تاسونى ماكرينا ، فهى لم تميز بين الواحدة والأخرى ، ولم تهتم بالواحدة وتترك الأخرى ، لم تستهن بأحدهنّ ولم تحتقر ولم تبكت ولم تؤنب أحدهنّ بل كانت تملك الأمومة الروحية لهنّ جميعاً . ربما ما درسته من علم النفس ساعدها على تفهم سمات هذه المرحلة ومشاكلها ومتاعبها وكيفية التعامل مع بناتها ، ولكن أساس النجاح كله يرجع إلى نعمة الروح القدس العامل فيها حتى أن محبتها لبناتها ومحبة بناتها لها صارت مضرب الأمثال .

كان المهندس الظريف شاذى يتردد على الأسرة بين

الحين والأخر ، ونالت الآنسة ماكرينا إعجابه ومع هذا فإنه لم يتعجل الأمور إنما أخذ يراقبها جيداً ويتابع خطواتها وتصرفاتها فى اللحظات القليلة التى يراها فيها سواء فى منزلها أو فى الكنيسة ، وقد طلب من أب أعترافه أن يصلى من أجل هذا الموضوع .. كان شادى إبناً وحيداً ويعلم جيداً أنه يحتاج معاملة خاصة ولهذا فإنه يخشى الفشل فى حياته الزوجية ، ولكن بعد الصلاة والتفكير إستقر رأيه على إختيار ماكرينا لتكون شريكة حياته وقد غضّ النظر عن الفارق الشاسع فى المستوى الإجتماعى بين أسرته الغنية جداً التى تملك أكثر من عمارة وأكثر من سيارة ومكتب هندسى كبير وبين أسرة ماكرينا الفقيرة التى لا تملك شيئا من غنى هذا العالم ولكنها غنية جداً بالله الكائن فيها .

تحدث شادى مع ماركو وكان الأمر مفاجئاً للأخير إذ أنه يشعر أيضا بعظم الفارق الإجتماعى والإقتصادى ، ومع هذا فإن ماركو نقل هذه الرغبة إلى أخته وكان يتصوّر أن أخته ستطير من الفرحة ولكنه فوجئ بموقف مختلف تماماً

عما توقعه إذ وجد ماكرينا ترفض بشدة ، والأم تتركها بحريتها ولا تعلق بشئ وكأن الأمر لا يخص ابنتها وتساءل ماركو :

لماذا الرفض يا ماكرينا ... هل هناك ما يعيب هذا الرجل ؟

ماكرينا : كلا .. إنه شاب ممتاز وسيتزوج بواحدة أفضل منى كثيراً .

ماركو : هل تخشين الزواج من ابن وحيد لئلا تشاركك أمه حياتك ؟

ماكرينا : كلا .. أنه ابن وحيد ولكنه يتمتع بنفسية سوية وشخصية جذابة ، وايضا من حق الأم أن تتعلق بابنها الوحيد التعلق المعقول وهذا يتوفر فى الست أم شادى .

ماركو : هل انت تفكرين فى إنسان أخر ؟

احتدت ماكرينا بعض الشئ وقالت : وهل ترى أن أختك تقدر أن تفعل هذا بدون رأيك وبدون علم ماما ؟

ماركو : لقد حيرتينى يا ماكرينا ... هل تنوين الرهبنة ؟

ماكرينا : نعم أنا فكرت مليئا فى الرهبنة ولكننى شعرت أنها ليست طريقى ولهذا لم أعد أفكر فى الذهاب

إلـى الحيـاة الملائكيـة .

ماركو : إذن لماذا ترفضين الأقتران بشاب لطيف ظريـف غني مثل شادى ؟

أجابت ماكرينا باتضاع : ماركو .. أين أنا وأين شادى ؟ اللى يبص لفوق يتعب ...

إننى أثق أن الله سيرسل لـى الإنسـان المناسـب فـى الوقـت المناسب لكننى لا أستطيع أن أتزوج بشاب غنى مثل شـادى وأعيش دائما ذليلة وكأنه أشترانى بماله .

ميخائيل : ده عمه شـادى عنـده بـدل السيارة أثنيـن ... لـو تزوجتيه سيعطيك واحدة ونتفسح على مزاجنا .

مرثـا : يـا ماكرينـا ليس الغنـى عيـب ...ألـم يكـن أيـوب وإبراهيم ويوسف وسليمان أغنياء جداً ؟!

ألاّ ترينّ الظروف المعقدة التـى نعيـش فيهـا هـذه الأيـام وعشرات البنات لا تجدنّ فرصتهنّ فى الزواج .

الأم : يا بنتي فكرى كويس وإتخذى قرارك .

ماكرينا : أشكرك يا أمـى علـى مشـاعر الأمومـة ورجاحـة عقلك ولكننى أتخذت قرارى .

مينا : فقيراً خرجت من بطن أمى وفقيراً أعود إلى هناك .
ميخائيل : يا خسارة ... ضاعت السيارة وضاعت الفسح الجميلة ..

وبعدها التقى ماركو بالمهندس شادى الذى كان واثقاً من استجابة ماكرينا لطلبه ، ولكنه رأى وجه ماركو لا يُنم عن هذا وكأنه يعانى نوع من الحرج فسأله : خير يا ماركو .. ماذا فعلت ؟

ماركو : خير ياباشمهندس .. الحقيقة أنك إنسان كامل فى كل شئ وماكرينا لا تستحقك ، والزواج قسمة ونصيب ...
شادى : كلامك حلو وجميل يا ماركو ... لكن ممكن أعرف سبب الرفض ؟

إحمّر وجه ماركو خجلاً وصمت برهة فلاحقة شادى بالأسئلة وحاصره :

هل هى مرتبطة بإنسان أخر ؟
هل شخصيتى لا تناسبها ؟
هل أسرتى لا تروق لها ؟ .... إلخ

لم يعرف ماركو كيف يجيب عن هذا الموقف الصعب فتنهَّد قليلاً وقال فى نفسه : الله يسامحكِ يا ماكرينا ......

ثم قال ماركو : أنث شاب ناجح جداً فى حياتك ، ولك شخصيتك العظيمة ، وأسرتك تتمتع بالغنى والسمعة الطيبة ولا غبار عليها ، ولا ينقصك شئ .

شادى : ولأجل هذه الأشياء رفضتنى أختك .. أليس كذلك ؟

ماركو : أنا آسف جداً يا شادى ولكن هذه هى الحقيقة .. أننا أسرة فقيرة وماكرينا ترى أن هناك فرقاً شاسعاً وهى تطلب إنسان يكون فى نفس المستوى أو أعلى قليلاً .

ظهر على شادى الضجر وهو يتكلم بنوع من العشم : هى أختك غاوية فقر .. خلاص .. بلغها أننى سأفتقر علشان أرضيها .

نقل ماركو هذا الحديث الصعب إلى ماكرينا وهو متأثر جداً برفضها لشادى وغير مقتنع تماماً بحجتها لأنه يعرف شادى ولم يلمس منه قط الكبرياء أو العجرفة أو التباهى أو التفاخر بل هو إنسان محب متضع جاد فى عمله وحياته .

ولم يمر أكثر من ثلاثة أشهر على هذه الأحداث إلاَّ

وكانت ماكرينا العروس السعيد تقف أمام هيكل رب الصاباؤوت بثياب العرس يحيط بها حاملات الشموع بملابسهنَّ البيضاء الملائكية ، وحَمَلَة الورود ينثرون ورودهم ذات الألوان البديعة من السلال المعلَّقة فى أعناقهم ، ويقف معهم ميخائيل الذى لم يتعدى الخامسة من عمره وبريق السعادة يبدو على عينيه .

ورغم ازدحام الكنيسة بالشعب وعشرات الشمامسة فإن الهدوء ساد المكان المقدس والأباء الكهنة السبعة يتناوبون الصلوات . أما ماركو فرغم إنه مشغول بكل شئ إلاَّ إنه وقت الأكليل فرَّغ نفسه للصلاة من أجل العروسين ليمنحهما الله الحياة الرغدة والعمر الطويل ، وقد خطر عليه خاطر عجيب فرفع نظره للسماء وقال فى نفسه :

يا إلهى إن كانت العروس تُزف إلى عريسها الأرضى بمثل هذه الفرحة وتلك السعادة .. فكم وكم عندما تُزف النفس للعريس السمائى ؟!

وشتان بين أفراح الأرض التى تزول وأفراح السماء التى لا تزول ؟ !!

انتهى الأكليل السعيد وخرج العروسان من الكنيسة تودعهما القبلات والأبتسامات والأبتهالات والتمنيات الحارة بالرفاهية والبنين والعمر الطويل ....

ولكن من هو هذا العريس سعيد الحظ الذى وجد المرأة الفاضلة التى ثمنها يفوق اللآلئ ؟

إنه المهندس الظريف الغنى وحيد والديه ....

عجباً ... وكيف وافقت ماكرينا على الزواج منه بعد رفضها ذلك بشدة ؟

أن شادى لم يقتنع بحجة ماكرينا ولم يستسلم لموقفها الرافض بل ذهب إلى الأسرة والتقى مع ماكرينا وتناقش معها دافعاً الحجة بالحجة حتى بطُلت حجتها وأصبح موقفها ضعيفاً فطلبت منه فرصة لإعادة التفكير فوافقها ..وخلال هذه الفترة صلّت بحرارة واستشارة أب إعترافها ، وقد حدث موقف ظريف إعتبرته مباركة السماء لهذا الزواج إذ طرق بابها طارق يسأل عن ماكرينا اسكندر يسى سعيدة الحظ التى فازت بشهادة الأستثمار الخاصة بها فئة عشرة جنيهات بمبلغ خمسة وعشرين ألف جنيها ، ولهذا وافقت

ماكرينا على الزواج من المهندس شادى على شرط ان يتسلم المبلغ الذى فازت به كمشاركة بسيطة منها فى تأسيس عش الزوجية فوافقها وتسلم المبلغ فدفع العشور للكنيسة وأعاد إلى ماكرينا ألفان وخمسمائه جنيها لأحتياجات الأكليل ، وأودع المبلغ الباقى فى البنك بإسمها .

وذاقت ماكرينا طعم السعادة فى عش الزوجية الجديد ، وسعدت بحب زوجها أكثر من سعادتها بماله وغناه ، ونجحت فى كسب محبة حماها وحماتها فلم يشعرا أبداً أن ماكرينا أغتصبت شادى منهما لكنهما شعرا أنهما ربحا ماكرينا أبنة بارة بهما ولهما .



الفصل السادس

أولادى ... أتوسل إليك لا تبيعوننى

تأخر زواج مرثا فبعد أن تقدم لها عدد ليس بقليل فى السنتين اللتين لحقتا وفاة أبيها إلاّ أن قلة الإمكانات كانت حائلا فى زواجها ، وعندما تحسنت الأوضاع المادية فيما بعد تقدم إليها بعض الأشخاص غير المناسبين . فواحد يكُبرها بعشرين عاماً ، وآخر ماتت زوجته وتركت له ثلاث أولاد ، وثالث يحمل شهادة S . A (ساقط اعدادية) ، ورابع لا يُعيبه غير راتبه الضعيف ولا يملك مسكناً للزوجية ، وخلال هذه الفترة كانت مرثا لا تملك المزاج الحسن المستقر إنما كانت تنتابها الهواجس والشكوك وتثور داخلها التساؤلات :

هل أنا ضحية الظروف ؟

هل أتحمل عقاب جريمة لم اقترفها ؟!

هل أصبحت مرفوضة من المجتمع وغير مرغوب فىّ ؟!

هل البعض يشفقون عليَّ ؟!

هل ينظر البعض لي على أننى تعيسة الحظ خائبة الرجاء ؟!

ما بال صديقاتى تزوجنَّ الواحدة تلو الأخرى وأنا صرت مثل البيت الوقْف ؟

كل إكليل أحضره هو عبء ثقيل على نفسى ، ولا سيما عندما يتمنى الناس لي الزواج قائلين " عُقبالك " ... ويذهب إكليل ويأتى آخر والوضع باق كما هو عليه ..

ولكن لماذا تنتابنى هذه المشاعر .. أليست تاسونى ليلى التى تأخر زواجها مثلى تعيش فى سعادة ؟ ...إنها تعيش وتتمتع بنفسية سوية مستريحة والسعادة ترفرف عليها ، وتتميز بالبذل والتضحية فى خدماتها العظيمة التى تقوم بها ...إنها قادت نفوس كثيرة إلى الملكوت .. وما أعظم خدمتها لمرضى السرطان ؟!

إذاً ليس المشكلة فى الزواج ولكن المشكلة فى قبول الأوضاع برضى وشكر ... المشكلة فى الثقة بالله محب البشر الذى يُدَّبر الخير للإنسان ... المشكلة فى وجود الله

فى حياتى ، وذهبت مرثا تشكو حالها لأب أعترافها الذى أنار لها ظلمة الطريق وفتح أمامها آفاق الأمل وأهداها مفتاح السعادة ...إنه لم يبحث لها عن عريس ، ولكنه فتح عينيها على عريسها السماوى الذى لا يرفض من يُقبل إليه ... حقاً إنها لم تختار طريق البتولية بإراداتها ولكنها متى شكرت الله على هذه البتولية وسلكت كما يليق بالبتوليين لابد أنها ستنال أكليل البتولية ...

تجاوزت مرثا هذه الهواجس بسلام ، وأنفتح قلبها تجاه السماء وخدمة السماء على الأرض ، وفَجّرت طاقات الحب الكامنة فيها عندما بدأت تخدم فى دار المسنين فنجحت فى خدمتها وسعدت ولمعت ... إنها تخدم هؤلاء الرجال الكبار والنساء العجائز بكل قلبها الذى رقّ كثيراً لأحوالهم ، ولا سيما أن كل واجد وكل واحدة فيهم يمثل مأساة تشهد على قسوة الأولاد وجحودهم ... الست أم بديع أودعها أولادها هذا الدار لكيما يتمكنوا من بيع المنزل الذي تمتلكه بمائتى ألف جنيها يقتسمونه بينهم .... الست أم فادى أودعها ابنها الوحيد فادى هذا الدار لأنه يحتاج إلى شقتها ليتزوج بها ...

ابو عادل ماتت زوجته وضاقت زوجات أبنائه بـه فـأودعوه هذه الدار ... الأستاذ مكرم الذى جاوز الثمانين مـن عمـره وقد ماتت زوجته وليس له أولاد ولا يجد من يعوله أضطـر للإلتجاء إلى هذه الدار ... الست انصـاف التـى تملـك شـقة متسعة فى محطـة الرمـل تشمل خمس حجـرات وحمـامين ومطبخ متسع وميسَّرة مادياً ولكن ابنها الطبيـب قـد هجرهـا إلى أمريكا وأبنتها المهندسة قد هجرتها إلـى استراليا وكـل منهما عاش حياته أما هى فلـم تجـد راحتهـا عنـد أى منهمـا ... فكلما ذهبـت إلـى أحدهمـا تجـد نفسـها حبيسـة الجـدران لأنهم يخرجون للعمل صباحاً ويعودون ليلاً لكيما يناموا ثـم يسـتيقظون للعمـل ، لذلـك فضّلـت مصـر علـى أمريكـا واستراليا ، وتركت شقتها ولجأت إلى هذا الدار تعيش وسط الناس تتحدث معهم ويتحدثـون معها لأنها إنسـانة إجتماعيـة ... إن لسان هؤلاء جميعاً يصرخ :

أولادى ...أتوسل إليكم لا تبيعوننى .

أولادى ...أتوسل إليكم لا تبيعوننى .

إن هؤلاء الناس دينونـة على المجتمع الذى أكلهم لحمـاً

وألقاهم عظماً.. فى هذه الدار ينتظرون الموت الذى لا يتأخر عليهم كثيراً ، فهو ضيف كثير التردد عليهم ، ولذلك دائما الدار فى حركة دائبة ... أعضاء يرحلون وأعضاء يحلّون محلهم لأن الدار دائما كاملة العدد ويوجد كثيرون وكثيرات فى قائمة الأنتظار .

خدمت مرثا هؤلاء العجائز بكل ما تملك من طاقة الحب ، وكانت تعتبرهم جميعاً أباء وأمهات لها ، وتعبت كثيراً لكيما تسعدهم ، فكلفت أخيها مينا الذى يحب الموسيقى ويعزف على العود والكمان بإحضار مجموعته لخدمة هؤلاء المسنين ، فكانوا يحضَرون عصر كل يوم أحد يجلسون مع هؤلاء الذين ليس لهم أحد يذكرهم ... يُرنّمون لهم ويقصّون عليهم قصص الكتاب المقدس ويقدمون لهم الطعام والحلوى حتى تعلّق المسنون بهم واعتبروهم أنهم أولادهم واطلقوا عليهم " كورال الملاك روفائيل مُفّرح القلوب " .

وبينما استراحت مرثا تماماً من موضوع الزيجة فإن أمها أحيانا كانت تحس باللوعة تجاه إبنتها الكبرى هذه ،

ولكنها كانت متمسكة بإيمانهـا وكمالها ولم تنصت إلى مشورة الحية التى كانت تُلِح عليها :

أم كريمة : آه ..لو توافقينى يا ست أم ماركو ونذهب إلى هذا الرجل الطيب .

أم ماركو : أنترك الرب ونذهب للعبد ؟!

أم كريمة : صدقينى أن ابنتك معمول لها عمل ، ولن يفكّه إلاّ المقدس عايد .

أم ماركو : يا ستى نحن نعرف ربنا المحب ... مرثا بتصوم وتصلى وتتناول ... هل الشيطان أقوى من الله ؟

أم كريمة : محدش قال كده ... لكن المقدس عايد كمان بتاع ربنا .. كل شُغله بالمزامير يا إختى .

أم ماركو : وهل تنسين حكاية سوزان وشنودة ؟

أم كريمة : وأيه حكايتهم يا إختى ؟

أم ماركو : وهل يُخفَى عليكِ شئ ؟

أم كريمة التى تعرف حكايتهما ولكنها تطمع فى المزيد من المعلومات عنهما تنكر أنها تعرف أى شئ وتقول :

يعنى أنا حاعرف وأسألك يا إختى ..... أحكى لى

حكايتهم ... أحكى يا حبيبتى .

أم ماركو : سأحكى لك لكى نُغلق هذا الموضوع نهائياً ...

سوزان كانت تعمل فى محل مفروشات ، وأُعجبت بشنودة الشاب الوسيم المُجْد صاحب محل الأدوات المنزلية المجاور لمحل المفروشات ... كانت تتحين الفُرص وتختلق الأسباب لكيما تتحدث معه وتجذب إنتباهه ، وعندما فشلت فى هذا إتجهت إلى المقدس عايد ... حدث هذا منذ ست سنوات ... إستطاع عايد بشياطينه أن يربط قلب شنودة بها ، ولا سيما أن هذا الشاب المسكين كان بعيداً عن الكنيسة .. وسريعاً تزوجت سوزان به ، وعاش معها ست سنوات أنجبت منه ثلاث بنات ، ولم تكُف خلال هذه الفترة عن الدعاية للرجل الطيب فأرسلت إليه الكثيرات والكثيرات ... هنَّ يدفعنَّ له وهو لا يشبع .

أم كريمة : ألم أقل لك إنه رجل الله ، وياما ربنا حلْ مشاكل على إيديه .

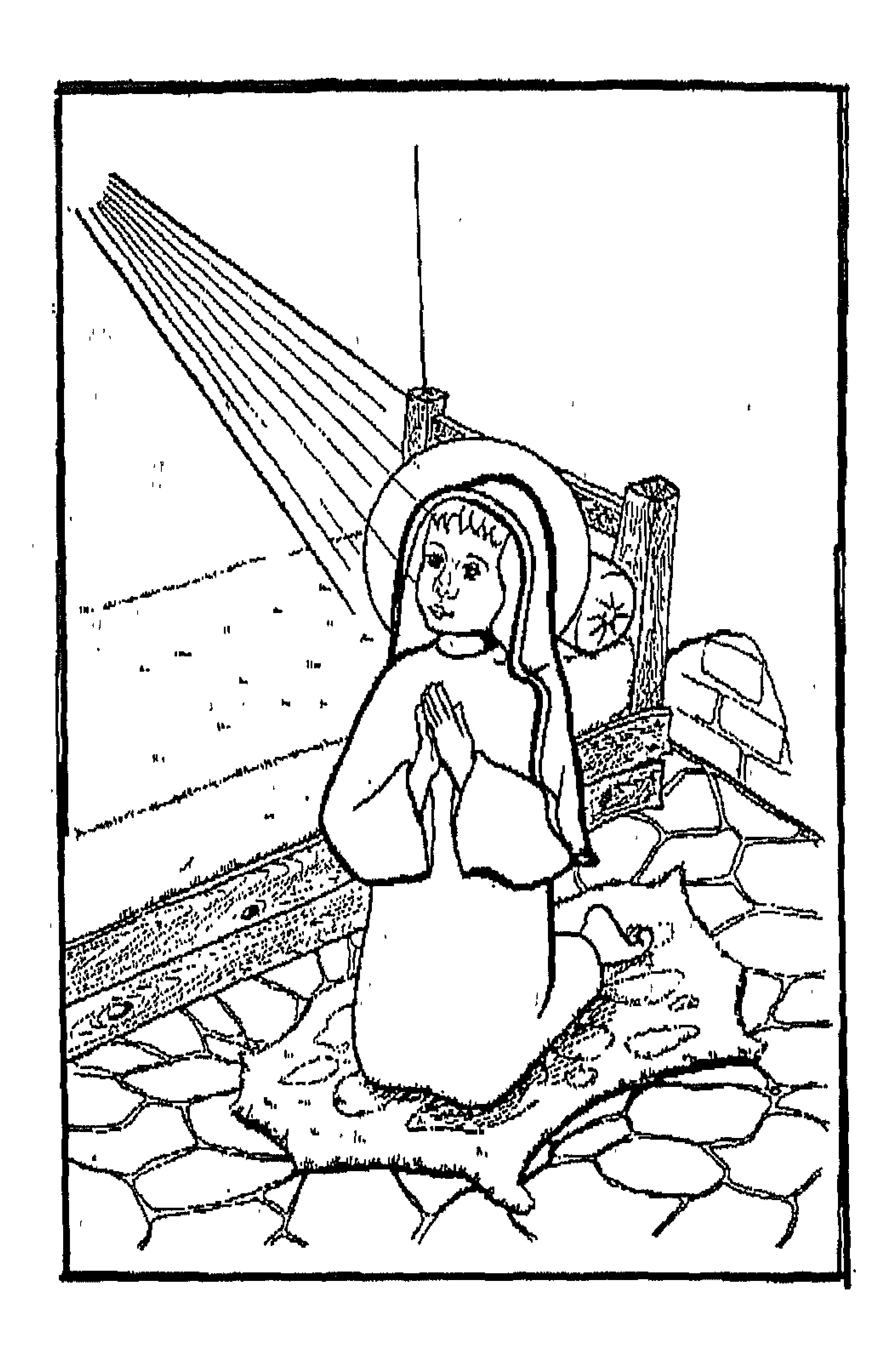
أم ماركو : إسمعى باقى القصة يا حبيبتى .

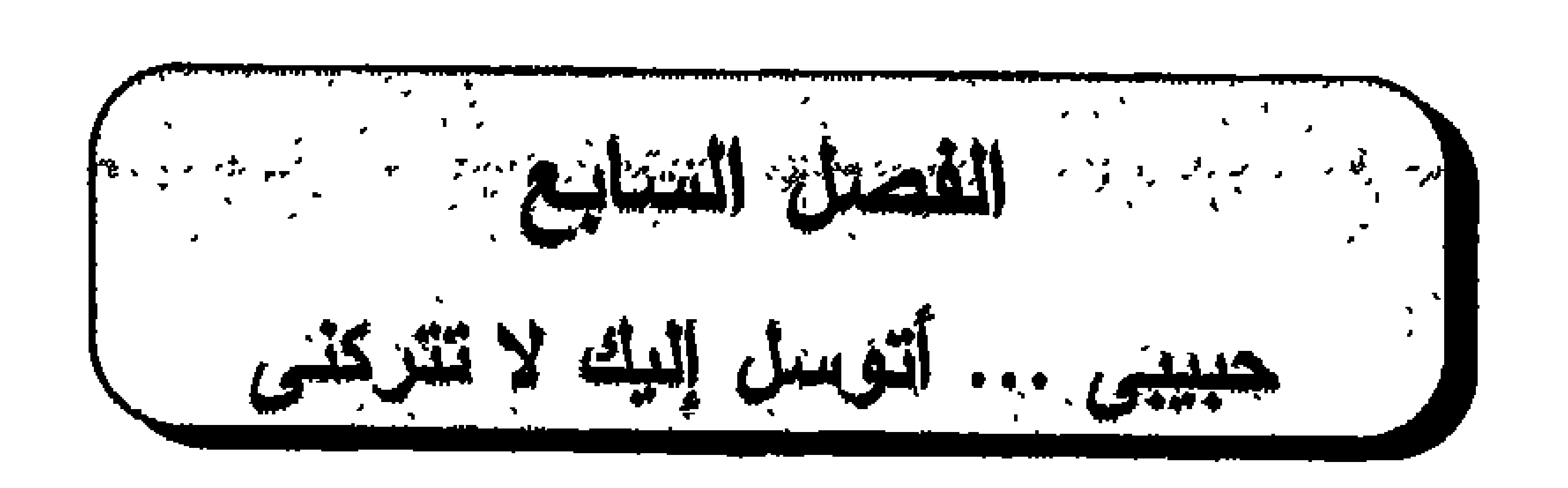
أم كريمة : ماهى القصة باينه من أولها .. هى محتاجة كمالة.

أم ماركو : بعد ما الشيطان كسب اتباع كثيرين وكثيرات بسبب دعاية سوزان له غدّر بها فبدأت تشعر بإختناق وحار الأطباء معها ، وإسودّت الحياة فى نظرها ولم تعد تهتم بزوجها وبناتها الثلاثة ... كان كل هدفها الأنتحار .. مرة قطعت شرايين يدها ، ومرة أخرى اشعلت النار فى ملابسها ، وأخيراً ألقت بنفسها من الدور الثانى فلم تَمُت لكنها تحطمت وتكسرت ولكنها ما زالت حية تعيش على كرسى متحرك تعانى العذاب والمرارة والكآبه والتعاسة عِبرةً لكل إنسان تُسوّل له نفسه الهروب من الله والألتجاء للشيطان والعرافة والسحر ... هو الشيطان بيحب الإنسان ؟! هو الشيطان يعرف يعمل خير ؟!

كانت أم كريمة تعرف بداية القصة ولم تعرف التطورات الأخيرة إلاّ اليوم ، ومع ذلك فإنها مع الأيام لم تكُف عن الإلحاح على الست أم ماركو للذهاب إلى المقدس عايد ، ولكن الست الأمينة أم ماركو ظلت ثابتة الجأش لا تهتز ولا تتأثر وحطمت المثل القائل :

" الزن على الودان أمّر من السحر "





الفصل السابع

حبيبي ... أتوسل إليك لا تتركني

عاشت ماكرينا أحلى أيام العمر مع زوجها شادى الذى أحبها كثيراً وكان يُسرع فيما يسُر قلبها ... أصبح لماكرينا سيارتها الخاصة بها ، ولم تبخل على ميخائيل فى شئ بل إنهما إتفقا معا على أن يكون هو صاحب السيارة وتكون هى السائق الخاص المطيع له ... مرة يطلب الذهاب إلى دير مارمينا ومرة اخرى إلى محطة الرمل ... تارة يطلب زيارة أديرة وادى النطرون وتارة اخرى حديقة الحيوان ... تارة يطلب بركة كنيسة مارجرجس اسبورتنج ومزار أبونا بيشوى كامل وتارة أخرى يطلب حدائق المنتزة وملاهى المعمورة ، وقد نجح السائق فى إجتياز أختبار الطاعة بنجاح .

أما المهندس شادى فقد طلب من ماركو أن يكون شريكاً له فى المكتب الهندسي العريق الذى له سمعته

الطيبة ، وعندما إعتذر ماركو بسبب قِصر اليد وقلة الإمكانات لم يقبل شادى بل فرضٌ عليه الأمر بمحبة عظيمة ، فصار ماركو شريكاً له رغم إنه لم يدفع إلاّ عُشر رأس مال المكتب ، ولكن شادى طمأنه بإنه سيأخذ الأربعة أعشار الأخرى خلال عشر سنوات ، وهذا الإتفاق الجديد زاد العبء جداً على ماركو وجعله يشعر بعبء المسئولية أكثر فأكثر إذاء هذا الحب الشادى المتدفق ، ولا سيما بمحبته الكبيرة للأسرة .. لم يتعالَ قط عليهم بل وضع نفسه فى خدمتهم حتى شعروا جميعاً إنه فرد منهم .

تأخر إنجاب ماكرينا نحو ثلاثة أعوام لكنها لم تقلق لأنها كانت تؤمن أن الله يدبر كل شئ فى حينه الحسن ، كما إنها كانت تشعر بأن شادى يمثل كل شئ فى حياتها فهو الزوج والأب والأبن أيضاً .. أما أمها فلم تكُف عن الصلاة والطلبة والتضرع لله وطلب شفاعة القديسين من أجل إبنتها ، وكان لمشاعر ماكرينا الرقيقة الأثر الفعال فى إطفاء نوع من الرضى والسلام على زوجها . أما والديه فرغم إنه كان ينتابهما نوع من القلق لأنهما يحلمان برؤية أولاد وبنات

إبنهما الوحيد إلاّ أنهما عالجا هذا القلق بحكمة بالغة إذ لم يَكُفا عن زيارة الأماكن المقدسة وتقديم عطاياهما وطلب شفاعة القديسين .

وبعد مرور نحو ثلاثة أعوام شعرت ماكرينا بأن الله قد أستجاب صلواتها وصلوات الأهل والأحباء عنها فسلمت نفسها ليد الطبيبة مارى التى كانت تتابعها ...

كم كانت فرحة شادى الذى أخذ يعُد الأيام لرؤية إبنه البكر ؟!

وكم كانت سعادة والد شادى وأمه بقرب وصول الحفيد الأول ؟!

وكم كانت بهجة والدة ماكرينا وأولادها ؟

ظلت الطبيبة مارى تتابع ماكرينا ، وفى إحدى زيارات المتابعة وكانت ماكرينا فى شهرها الثامن وهى تشعر بحركة الجنين فى أحشائها أستطاع شادى أن يرى إبنه على شاشة التليفزيون مما بعث فى نفسه سعادة عظيمة ... انتهت الزيارة وذهب شادى مع زوجته إلى " تكا جريل " حيث تناولا طعام الغذاء فى ظل يوم شتوى متقلب ..

وبعدها سارا إلى قلعــة قايتبـاى والحديث يشـدهما ودون أن يدريا أين يتجهان وإذ هما خلف القلعة على رصيف مرتفـع مـن الحجـارة الملسـاء فـى منطقـة خطـرة طالمـا كـان لهـا ضحاياها من السعداء ، وتأتى موجـة غير متوقعـة فتنزلق قدم ماكرينا وتكاد تهوى إلى البحر فينجدها شادى ويسندها ويدفعها برفق بجوار السور غير أن الموجـة التاليـة كـانت أشد واعتى فأصطادت شـادى وهبطـت بـه إلـى ميـاه البحـر حيث الصخور المدببـة التـى تشـبه الآلات الحـادة .. حـاول شادى جاهداً التشبث بإحدى هذه الصخور فلم يقدر .. حاول الوقوف على قدميه فلم يقَو من ضربات الأمـواج المتلاحقـة ... حـاول حفظ إتزانـه أمـام البحـر الغـاضب فلـم يقــوَ ... الأمـواج الغـادرة تطيـح بـه وتخبطـه بـالصخور فـى ذهابهـا وتجذبه للداخل فى إيابها .. إختلطت الأمواج بدمائه أما هـو فقدْ فَقَدَ اتزانه وسيطرته وماكرينـا لا تكـف عـن الصـراخ ، وسريعاً جذبه البحر إلى أحشائه .. تجمع عـدد مـن الشـباب غير أن واحداً منهم لم يجـرؤ علـى اقتحـام البحـر الغـاضب لأن النـازل إليه بإراداته سيخرج منه بدون إراداتـه ... كـل

ما فعلوه إنهم ساعدوا ماكرينا في الخروج من منطقة الخطر ، واتصلوا بالأسعاف التي حملتها إلى المستشفى وإذ بساقها مصاب بشرخ وهي لا تبالي لأن الشرخ الذي أحدثته الحادثة في نفسها كان أقوى وأعمق ... كان من الأهون عليها الموت مع حبيبها .

سري الخبر سريعاً سرعة النار في الهشيم وإذا بمكان الحادث يزدحم بالأهل والأحباء يبكون ويحتجون على البحر وغدره ، ورجال الإنقاذ البحري يسعون جاهدين في البحث عن المهندس الظريف ، وحتى أن حل المساء كانت جهودهم قد باءت بالفشل ، والبحر لم يتحنَّن على الوالدين ويرسل لهما وحيدهما .. الكشافات القوية تتابع حركات الأمواج ، والأحباء يرابطون على الشط في برد الشتاء وزمهريره .

وفي الصباح أحضر بعض الأحباء أحد الغواصين الخبراء بدروب المنطقة والمشهود لهم بالنجاح في مثل هذه المهام الشاقة . وللأسف إذ شعر هذا الغواص بغنى الأسرة من كثرة السيارات والرجال الذين زحموا المكان أخذ يتاجر

ويبيع ويشترى فيهم وهم يطيعون أوامره ويرضخون لشروطه ... لقد اشترط على اجر خمسمائة جنيها عن كل ساعة يقضيها داخل المياه ، ولكن ماركو اشترط عليه شرطاً واحداً وهو أن لا يأخذ أجره إلاّ إذا احضر لهم فقيدهم ، ومن كثرة غرور هذا الغطاس الطماع وافق ماركو على طلبه ، وفى الثامنة صباحاً هبط الغطاس إلى احشاء البحر يفتشها بخبرته وينحنى تجاه الصخور فوجد الجثة محشورة بين الصخور ... ماذا يفعل ولم يمر أكثر من دقائق على نزوله ؟ ... لم يُخرج الجثة بل حشرها أكثر وأكثر وأخذ يصرف الوقت هنا وهناك ، وكل فترة يخرج لكيما يتناول بعض المشروبات الساخنة ويتحدث مع أهل الفقيد يُصعّب أمامهم المهمة ، ويقتل فيهم الأمل ، ويعذبهم بكلماته القاسية فكل ما يهمه حصيلة أكثر من المال أما هؤلاء المعذبون فليذهبوا إلى الجحيم .. إستمر الوضع هكذا طوال اليوم حتى بدأت الشمس تغرق فى البحر ، وترسل انذار الغرق عبر أشعتها النارية التى تنعكس على السحب

المتكاثرة فيراها المرء حسبما يتخيلها و يتصورها ... إنه منظر الغروب .

لم يقدر الأب المسكين أن يحتمل أكثر من هذا فخرج عن شعوره وصار ينادى ابنه بصراخ :

يا شادى ... يا أبنى ... يا أبنى يا شادى...

كفاك يا شادى ... كفاك يا أبنى ..

باباك تعب ... تعالى يا ولدى ... كفاك يا أبنى ... يا شادى ....

ولم تحتمل رحمة السماء هذا الصوت الذى يشقّ الأكباد ، ففى هذه اللحظة كان الغطاس يحاول تثبيت الجثة أكثر لأنه مزمع أن يتركها إلى الصباح ، وإذ برحمة السماء تصرعه ، وإذ بمهمته تفشل ، وإذ بالجثة تفلت منه وكأن الله بعث فيها روح حياة .. وإستجاب الشاب المطيع نداء أبيه المكلوم ففلت من الغطاس وهرب بعيداً والغطاس لا يصدق ما يحدث ... لمح أحد رجال الإنقاذ الجثة فأسرع إليها مع زملائه يحملونها للشط ... يضعونها على النقالة ويغطونها بملأة بيضاء ويسرعون بها إلى سيارة الأسعاف

وفى اليوم الثالث كانت جنازة المهندس الشاب الظريف شادى .. وكم كانت جنازة قاسية مؤثرة ؟!

كم بكى الجميع حبيبهم المهندس اللطيف الظريف شادى ؟!

إجتهد الأباء الكهنة فى أخفاء دموعهم ، وإجتهد أبونا حنانيا فى العثور على كلمات الرثاء المناسبة وركز حديثه حول الإبن الوحيد الحبيب اسحق المقدم على المذبح والقائم حياً .. والد شادى يحيط بماكرينا التى أبكت الجميع ببكائها المر وتعرضت للأغماء أكثر من مرة يحاول تهدئتها من أجل شادى الصغير الكائن فى أحشائها

وعند باب القبر وقفت ماكرينا تبكى حبيبها وهى تتمنى أن تدخل معه إلى جوف القبر ، وإذ وهنت قوتها أخذت تصرخ بصوت غير مسموع :

حبيبى ..أتوسل إليك لا تتركنى .

حبيبى ..أتوسل إليك لا تتركنى .

وإذ بطيفه يحوطها ويأتى صوته واضحاً جلياً :

حبيبتى لن أتركك ِ... إننى سبقتك إلى المجد ...إلى الخلود ... إلى السماء ... إلى يسوع ... أرفعى عينيك

إلى السماء يا ماكرينا حبيبتى .

وإذ بابونا حنانيا يُذرى التراب قائلاً " يا أدم أنت من تراب وإلى التراب تعود .. صلوا جميعا يا أبانا الذى ...."

لقد نفذت طاقتها بالكامل وفقدت كل قوتها ودارت الأرض بها فكادت تهوى على الأرض لولا حماها الماسك بيدها ، وإذ بها تلمح مريم المجدلية ترفل فى ثياب المجد وتخاطبها بفرح :

ماكرينا ... لماذا تبكين ؟

ماكرينا ... من تطلبين ؟

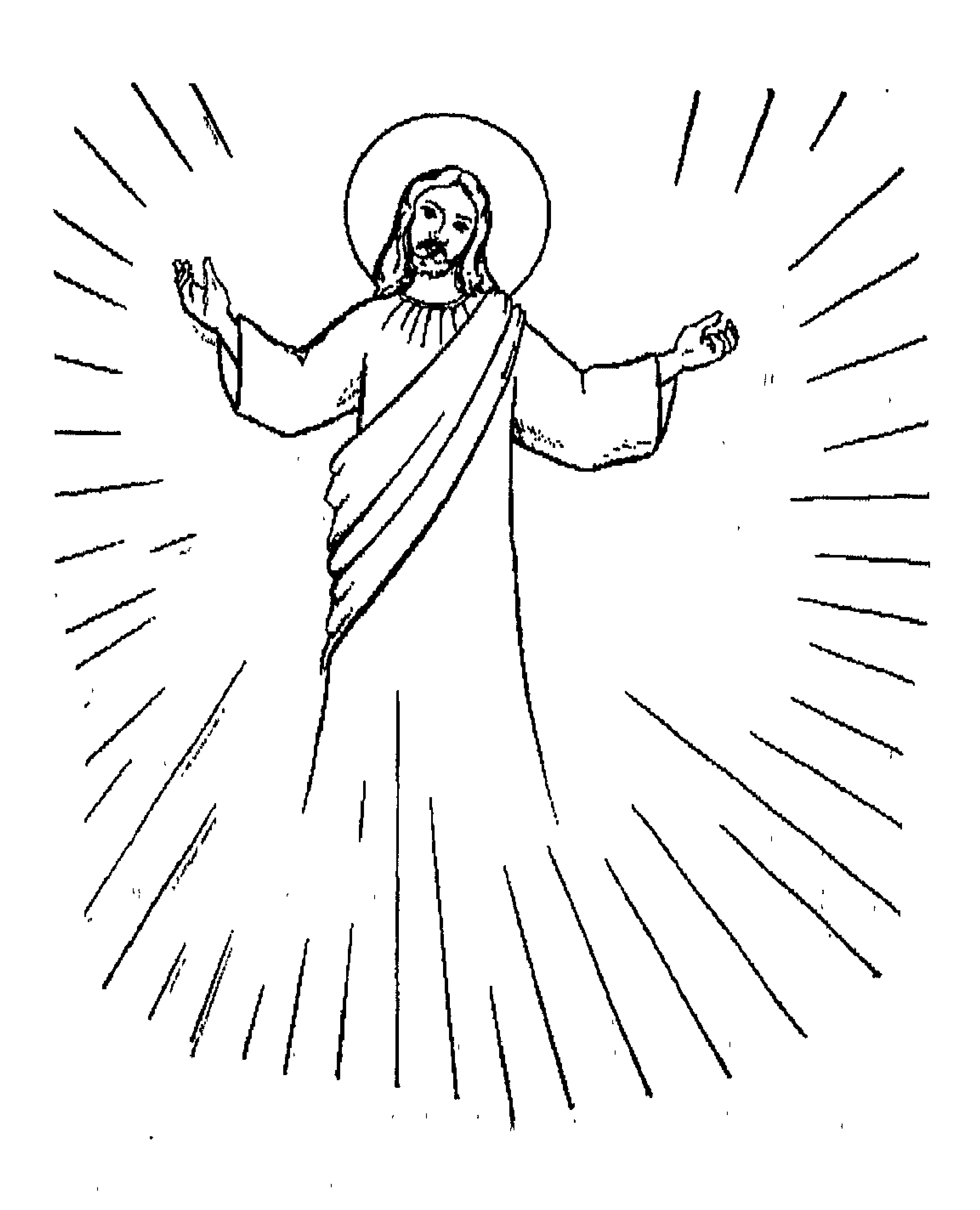
المسيح قام ... بالحقيقة قام ... قام واقامنا معه ...

وأجلسنا معه فى السماويات ....

لم يعد للموت سلطان علينا ....

ولم يعد القبر مستقراً لنا ....

وأصبح الموت هو القنطرة الذهبية التى تعبر بنا إلى السماء ....





وفى منزل المرحوم شادى لم يترك ماركو ومينا والد شادى فظلا بجواره يستقبلون الوافدين من الرجال لتقديم واجب العزاء ، وذلك فى شقة أم وديع السيدة الطيبة التى أصرت على فتح شقتها المتسعة كعلامة محبة للفقيد الذى كانت تعتبره بمثابة إبنها ... وفى شقة المهندس شادى كانت مرثا وأمها وأم شادى يحيطون بماكرينا التى ألقت بنفسها على كرسى فوتيه وهى لا تقوى على النهوض ، فكل ما تفعله أن تمد يدها للمعزيات وتُسلم وجنتيها لقبلاتهنّ ... ما أكثر المعزيين والمعزيات ؟ وما أعظم محبتهنّ ؟ وما أكثر المشاعر الفياضة التى تُقَدّم لها ؟

ولكن من هول الصدمة لم تتذوق المسكينة طعم هذه المحبة الفياضة ... وقفت الخادمات واحدة تلو الأخرى تقدم العظات الرثائية وماكرينا فى عالم آخر ... لا تقوى على

التركيز وصارت المتكلمات بالنسبة لها كأنهنَّ أعجميات الشئ الوحيد الذى كان يعزيها هو باب القبر ، وما رأته هناك من طيف حبيبها وكلماته ، والمجدلية وحديثها ...

إن الكلمات حُفرت بعمق فى قلبها تملأ أذانها وفؤادها ، فأخذت تردِّدها فى نفسها كمزمور جميل كلما انتهى تبدأه من جديد تحاول التحلق به فى السماء ولكن الأحزان تمثل اثقالاً عظيمة تشدها إلى الأرض .

وعلى مدار عدة أيام ظل الباب مفتوحاً للعزاء . أما الست أم كريمة التى لم تتمكن من الحضور فى اليوم الأول عندما لمحها مينا قادمة فى اليوم الثانى اسرع يهمس فى أذن ماكرينا وأعانها على النهوض لتذهب إلى حجرتها وتفلت من قبضة أم كريمة التى ظلت تنتظر خروجها لوقت طويل دون جدوى ، فأعادت الزيارة عدة مرات على أيام متوالية وكلما لمحها مينا صاعدة على السلم يقول " يا كرم اللّه " فتترك ماكرينا كرسيها وتتجه إلى سريرها ، لقد باءت جميع محاولات أم كريمة بالفشل ، ولم تقدر على الأنفراد بها لتستجوبها وتحقق معها وتسألها عن اقرار

الذمـة الماليـة بـالتفصيل والمـيراث والمكتـب والسـيارتين والرصيد البنكى ...إلخ

لذلك وجدت لا مناص من الأنفراد بأم ماركو وفتحت لها المحضر تسألها :

- ما هذا الذى حدث وكيف حدث ؟

أم ماركو : صلى يا أختى لعل الله يترأف علينا ويرحمنا

- ماكرينا حامل فى الشهر الكام ؟

أم مـاركو : صلـى يـا سـت أم كريمـة لكـى يقيـمها اللـه بالسلامـة

- أكيد المكتب سيُغلق ... مين يـا عينـى يتحمـل المسئولية الكبيرة ؟

أم مـاركو : صلى يا ستى حتى لا يُغلق المكتب .

وهكذا عشـرات الأسئلة ، وفـى كـل مـرة لا تجيبهـا أم ماركو إلاّ بطلب الصلاة منها ، فأنصرفت دون عودة وهـى تُتمتم قائلة :

أيه الست القرشـانه دى ... كـل مـا أسألها سـؤال تقـول صلى يا أم كريمـة ... صلى يا أم كريمـة ... هى أم كريمة

راهبة في الدير ولا قسيس في الكنيسة ؟! ناس متعبة ترفض التعزية

عسكّر والد شادى وأمه مع الزوجة الحزينة كجنود أوفياء وخدام أمناء رهن أشارتها ، وتَكّفل مينا بإحضار كل احتياجات المنزل . أما ماركو فقد شعر بثقل المسئولية وأحس بإنه صار يتيماً بعد رحيل شادى ، وكثيراً ما يقف أمام الخرائط الموضوعة على المنضدة يتأملها وإذ بالخطوط التى خطها شادى بيده تبرز أمامه وتتشكل فتأخذ صورة شادى المبتسم اللطيف الظريف فتنسّاب دموع ماركو تبلل هذه الخرائط لأن شادى لم يكن مجرد زوج شقيقته فقط بل كان صديق العمر وصديق الدراسة وصديق العمل وصاحب القلب الكبير والمشاعر الفياضة وإذ كان وحيداً كان يعتبر ماركو شقيقاً له .

عقب كل شهر يحمل ماركو حسابات المكتب إلى والد شادى الذى يرفض النظر إليها من فرط ثقته فى أبنه ماركو ، ولا يكف على تشجيعه للاستمرار فى العمل بنفس الهمة للحفاظ على سمعة المكتب من أجل حبيبه شادى وحتى يسلم

الأمانـة إلـى شـادى الصغيـر .

مرَّ شهر على الحادث الأليم وفى ليلة من ليالى الشتاء القارص وضعت ماكرينا مولودها " أندرو " فى حضور طبيبتها مارى التى كانت تتردد عليها يومياً ... ولُد أندرو فى جو الأحزان هذه ... هبط إلى أرض الشقاء فلم يجد أباً يفرح بلقائه ، ولم يجد أماً تبتسم له ... الأم تحتضنه فتبللُ دموعها ملابسة وتتنهد :

آه لو كان شادى هنا ؟! ... كم كانت ستكون فرحته ؟! .... ألم يَعدْ الأيام والساعات على هذه الساعة ؟! .... الأب الحكيم يخفى دموعه عن ماكرينا ويجتهد فى رسم ابتسامة حزينة على وجهه ... الأم تنزوى فى حجرة بعيدة وتنخرط فى البكاء ثم تخرج مجُهدة ومجُتهدة فى إعادة رسم ابتسامة باهتة على شفتيها أمام ابنتها ماكرينا .

مرَّت الأيام ثقيلة ، ولم تقو على تخفيف الأحزان عن هذه النفس المعذبة ، وكلما حملت ماكرينا ابنها ترى فيه صورة حبيبها شادى فتنساب دموعها بلا ضابط .

كان أندرو طفلاً جميلاً لطيفاً ظريفاً يفتح عينيه من النوم فيبتسم ابتسامته الحلوة الخلابة ولسان حاله يقول :

مامى ... أتوسل إليك لا تغتالى بسمتى .

مامى ... أتوسل إليك لا تغتالى بسمتى



الفصل التاسع
ملجأى ... أتوسل إليك لا تطرد ولدى

حاولت مرثا أن تجذب ماكرينا إلى خدمة المسنين لعلها تنسى أحزانها ، ولكن نفسية ماكرينا المحطمة لم تحتمل الخدمة فى دار المسنين ، وفى يوم زارها ابونا حنانيا كالعادة يطمئن على احوالها ويسأل عن الطفل اليتيم ، وحكى عَرَّضاً مآساة بديع الذى فقد والديه عندما انهار المنزل عليهما وهو مقُبل على امتحانات الصف الثالث الأبتدائى ...

سألته ماكرينا : وأين هو الآن ؟

أجاب ابونا : أنه مع أولادى فى شقتى .

ماكرينا : يا ليت قدسك تحضره معك الزيارة القادمة .

وفعلاً أحضر ابونا حنانيا بديغ معه ، وما أن رأته ماكرينا حتى حنَّت أحشاؤها عليه ، والتمست من ابونا أن يتركه معهم عدة أيام .

ابونا : الأمر يرجع إلى بديع .

وإذ أعجب بديع بالطفل أندرو وافق على بقائه عدة أيام معه .... لاحظت ماكرينا أن الطفل بديع بديعاً في كافة تصرفاته ، وقد أطفئ عليهم جو من الحب والعزاء فأستراحت له ماكرينا وتمسكت به ، والتمست من ابونا حنانيا أن يبقى معها فترة أطول فأجاب ابونا طلبها بناء على رغبة بديع .

وإذ كانت العمارة التى تسكن فيها ماكرينا مِلكاً لزوجها ، وبها شقة متسعة خالية طرحت على حماها وحماتها مشروعاً مربحاً روحياً ، وهو تخصيص هذه الشقة كملجاء صغير للايتام باسم إبنهم شادى فبارك الجميع تفكيرها وخطواتها ولا سيما ماركو الذى تمنى النجاح لهذا المشروع ، وقام ابونا حنانيا بإحضار ستة أولاد ، وتم أفتتاح الملجأ ودعى بإسم " مريم المجدلية " ، وسريعاً إنضم إلى خدمة الملجأ عدد لا بأس من الخادمات اللآتى لم يكن لهنّ نصيباً فى الزواج ، والآتى تزوجن ولم ينجبنّ ... تم تقسيم المسئولية على الخادمات المتفرغات لهذا العمل المبارك ...

المشتروات .. أعمال المطبخ .. أعمال النظافة .. الدراسة والدروس .. المتابعة الصحية .. الفسح والرحلات .... المشاكل الناشئة وعلاجها وهى فى المهد .

العجيب أن فعَّلة الخير عندما علموا بهذا المشروع الخيرى انهالوا بتبرعاتهم التى غطت كافة مصاريف الأولاد فعاشوا فى مستوى معيشى مرتفع ، وتفوقوا فى دراستهم بفضل حسن المتابعة وماكرينا مديرة الملجأ تمثل صدر الأم الحنون الذى يتسع لكل الأولاد ، واحبها الأولاد جداً بعد أن شعروا بتفانيها فى التعب من أجلهم ودعوها " ماما ماكرينا " ، وفضَّل بديع أن يعيش مع أخوته هؤلاء فى بيت المجدلية ....

أما أهتمام ماركو بهم وارتباطه بهم فقد أشعرهم بأنه واحد منهم لا يستغنون عن رؤيته ، وهو لا يستطيع أن يمضى يوماً واحداً دون رؤيتهم مهما كانت ظروفه فى العمل فإنه يذهب إليهم يومياً حتى ولو فى وقت متأخر يحمل لهم الهدايا والحلوى واللب والفاكهة ... لقد تحول بيت المجدلية إلى كنيسة صغيرة تنبعث منها أصوات

التسابيح والترانيم والصلوات فى أوقاتها ، ونجح هذا البيت نجاحاً باهراً فى نزع الأحزان من نفس ماكرينا .

وعادت السعادة تجد لها عشاً فى قلب الأرملة.

وكان أجمل يوم لدى هؤلاء الأطفال الأبرياء يوم زواج أخيهم الأكبر وحبيبهم المهندس ماركو ... حضروا الأكليل وكل منهم يرتدى قميص أبيض وفيونكة حمراء مع بنطلون أسود وكأنهم فى فرقة ملائكية . أما أدبهم وأحترامهم للكنيسة وصلواتهم والحانهم مع الشمامسة فقد جذبت انتباه الجميع وقد شكلوا صفين كاملين بجوار الشمامسة ، وعقب صلوات الأكليل لم يذهب ماركو لأحد الفنادق أو أى مكان آخر إنما أختار بيت المجدلية حيث أحتفى به أولاده هو وعروسه فى ليلة من أجمل ليالى العمر ، وقد عَبَّروا عن مشاعرهم بالكلمات الصادقة نثراً وشعراً وبالترانيم الروحية والألحان الكنسية ونجح كورال المجدلية فى تقديم حفل بديع للعروسين وللضيوف الأعزاء نال اعجاب جميع الحاضرين

زاد عدد أبناء المجدلية حتى قارب العشرين ، وسارت الأمور فى البيت على خير ما يرام إلى اليوم الذى جاء فيه

أحد الضيوف الجدد فقلب البيت رأساً على عقب ... إنه ولد في الصف الثاني الأبتدائي اسمه شريف وشهرته " شرطع " ، وكل من يناديه بشريف لا يرد عليه ولا يعيره اهتماما لأنه يفتخر باسم الشهرة الذى اطلقه عليه خاله ، ورغم أن نظام بيت المجدلية كان قاصراً على استقبال الأيتام فقط إلاّ أن ماكرينا قَبِلت شريف هذا تحت ألحاح ودموع أمه هرباً من أبيه المعلم لطيف الذى يعامله بقسوة متناهية حتى أصبح الولد لا يخاف شيئا ولا يرهب شيئا ، وأباه يصر على خروجه من المدرسة لكيما يعمل معه فى القهوة .

كان شعار شريف " إننا نعمل فى صمت " ...

قصَّ ستائر البيت ولكيما يخفى جريمته دخل الحمامات وسد المراحيض بقصاصات الستائر والورق .. ودخل إلى المطبخ فى غيبة من المشرفة والتهم معظم كمية اللحوم التى ستقدم لأخوته ، وخلط بعض الملح على السكر ، وبعض من الفلفل الأسمر على الشاى وبعض الجبس على الدقيق وهكذا .... ثم وقف مع أخوته يُصلّون قبل الغذاء وإذ به يدفع الذى أمامه ويزكل الذى خلفه ويقرصُ الذى

على يمينه ولا يترك الذى على يساره ، وسريعاً يغير مكانه لكيما يوزع معاكساته ومشاغباته بالعدل على إخوته ...

وعندما أقبل المساء استخدم سلك الكهرباء فى قطع التيار ثم أخذ يركض هنا وهناك فى خفة ورشاقة يضرب هذا ويشد ذاك ويصدر أصواتا شرطعية غريبة .

وظل شريف هكذا عدة أيام لا يكُف عن حركاته البهلوانية ، ورغم أن أحدى المشرفات قد تخصصت له . وكانت تذاكر معه فى حجرة منفردة وتجتهد لكيما ترضيه وتكسب صداقته إلاّ إنه كان يتحجج كثيراً بالذهاب إلى الحمام ، وفى كل مرة يحرج لابد أن يؤذى أحداً من أخوته .. جرّبوا معه أنواع العقاب والحرمان فكان يتلذذ به ويضحك ساخراً من هذا العقاب الذى يعتبره ترفيها بجوار العذاب الذى كان يلقاه على يد والده المعلم لطيف ، وعندما فشلت كل الجهود فى تقويم شريف وإعادته إلى شخصيته السوية لم تجد ماكرينا مناصاً من استدعاء أمه وتسليمها شريف رغم دموعها التى كانت تصرخ :

ملجأى ... أتوسل إليك لا تطرد ولدى .

ملجأى ... أتوسل إليك لا تطرد ولدى .

ولكن كيف الحل مع شريف الذى ليس له حل ؟!

أخذت أم شريف ابنها وهى تندب حظها الذى أوقعها مع زوج متوحش وولد متشرد ... سارت وهى شاردة الذهن ثم التفتت وإذ بشريف لا أثر له مثل فص ملح وذاب ... بحثت عنه وعادت إلى بيت المجدلية لعلها تجده فلم تجده لكنها وجدت المهندس ماركو الذى هزته مأساتها ودموعها فخرج معها يبحثان عنه بالسيارة ، وبعد ساعات طويلة وجداه فى حديقةعامة بالشارع منطلق مثل الحيوان البرى لا يفكر فى شئ ولا يشغله شئ .. بل يلعب ويلهو مع مجموعة من الأولاد المتشردين يضربونه ويضربهم والمكان يضج بضحكاتهم ... أخذه المهندس ماركو وسأله لماذا ترك البيت ؟

فأجاب : هم الذين طردونى ، ولم يلتفتوا إلى توسلات أمى

ماركو : ولماذا طردوك من المنزل ؟

شريف : لأننى أحب اللعب والجرى ولا أحب السجن داخل الشقة

ماركو : وهل هناك شكوى أخرى ؟

شريف : أنني رجل وهم يعاملونني كولد صغير .

استطاع ماركو أن يصنع حواراً مع شريف ، وإذ اطمأن شريف له أخرج كل ما فى داخله ، واعترف بحركاته الصعبة التى صنعها بأخوته فى بيت المجدلية ... صرف ماركو الأم بسلام وهى تدعو له ، وأخذ شريف فى سيارته واشترى بعض السندوتشات والفاكهة واتجه إلى بئر مسعود حيث جلس يتناول غذائه مع شريف ويعامله معاملة رجل إلى رجل ... استراح شريف جداً إلى المهندس ماركو الذى طلب منه أن يلتزم فى البيت لمدة أسبوع وفى نهايته سيصحبه إلى ملاهى المعمورة لكيما يلعب كيفما شاء بالألعاب المختلفة ، وبينما كان أولاد المجدلية يصلون من أجل أخيهم شريف طوال الأسبوع كان شريف مثالاً فى الإلتزام ، وفى نهاية الأسبوع وفّى ماركو وعده مع شريف حيث أمضيا يوماً رائعاً فى حدائق المنتزة وملاهى المعمورة واشترى له " موسوعة الطبيعة الميسرة " المزود بالصور الملونة الجميلة عن الطبيعة والطيور والحيوانات

والأسماك والزواحف ففرح به شريف جداً وعاد للمنزل وكأنه أصبح أثرى رجل فى العالم بصداقته للمهندس ماركو ، وقرر الألتزام بمبادئ الإتفاقية التى أبرمها مع صديقه ماركو والتى تنص على :

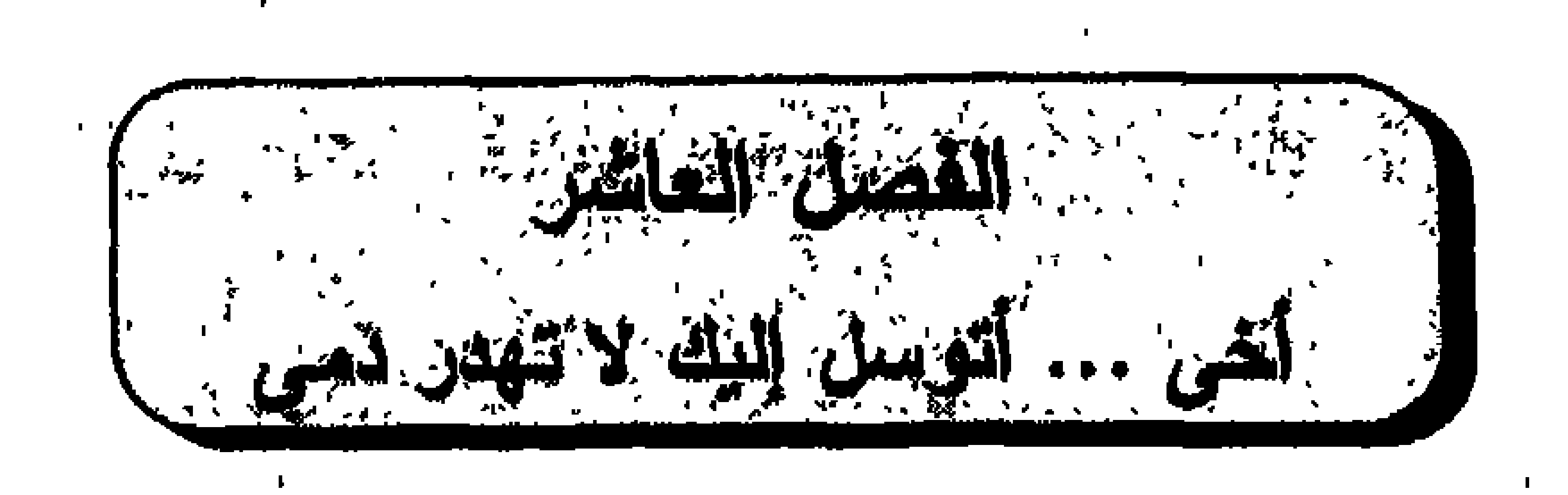
١- قتل شرطع وولادة شريف ... أى نسيان اسم شرطع تماماً.

٢- يصير شريف مسئولا عن مشتريات الدار .

٣- يجتهد شريف فى الدراسة وحياته الروحية مقابل فسحة اسبوعية مع صديقه ماركو .

واخيراً عاد إلى بيت المجدلية هدوئه وحل السلام فى ربوعه واندحر الشيطان وانتصر المسيح .





الفصل العاشر
أختي ... أتوسل إليك لا تهدر دمي

وفى أحد الأيام عادت ماكرينا مع أخيها الصغير ميخائيل وابنها أندرو عقب فسحة بسيطة ، وقبل أن تفتح باب شقتها لفتّ ميخائيل نظرها إلى بعض الدماء المنهمرة من أسفل باب شقة الست أم وديع ... نظرت ماكرينا فاضطربت وأرتعبت ... أسرعت إلى التليفون تتصل بالست أم وديع فلا مجيب ... أستدعت شقيقها ماركو الذى أسرع إليها وطرق باب شقة أم وديع بشدة ولا مجيب ... شكّ فى وقوع جريمة سرقة بالأكراه وإصابة الست أم وديع فأبلغ سريعاً بوليس النجدة الذى أسرع بالحضور ولا سيما عندما علم أن هناك دماء تنهمر من أسفل باب الشقة وغالبا هناك حالة تحتاج للإنقاذ السريع .. كانت توقعات ماركو وماكرينا أن الست أم وديع مصابة خلف الباب فأخذا يبتهلان لله لينقذها .

كسر البوليس باب الشقة وإذ بالشاب الطبيب وديع مسجياً على الأرض متضرجاً في دمائه وبجواره السكينة التى قُتل بها ... خلال دقائق معدودة ازدحم المكان برجال الأمن والمباحث والأسعاف وخبير البصمات ، وفى هذه الأثناء أقبلت الست أم وديع وما أن رأت منظر ابنها حتى صرخت صرختها المدوية واندفعت لتُلقى بنفسها على صدر أبنها الحنون ولكن البوليس منعها من الإقتراب إليه .... وهى لا تكف عن الصراخ والصياح :

" قَتَلك ... قتلك قايين ... قايين قتل هابيل يا حبيبى ... "

أخذ رجال البوليس يترجمون كلماتها وإذ بالعقيد سامى جرجس يهمس فى أذن رجاله :

" أن القاتل شقيق المقتول "

فى وقت وجيز تم رفع البصمات ، ونقلت الأسعاف الجثة ، وأيضا تم القبض على وديد القاتل ... عجباً ... ولماذا قتل وديد شقيقه وديع الطبيب ؟

لقد أصرّ وديد على الخروج من منزله وحياته وجلده ودينه بسبب حبه لسوزان فوقف أخوه الكبير وديع مقابله

ينصحه فلا يقبل النصيحة ، ويتوسل إليه بدموع فيحتقر دموعه ... لقد أصَّم الشيطان أذنيه وأعمى عينيه ، وصمم وديد على الأنطلاق من الشقة ولكن المحبة الأخوية تصّدت له ومنعته من الخروج من الشقة فما كان من وديد الذى ملاء الشيطان قلبه إلاّ إنه طرحه أرضاً وأنهال عليه بسكين المطبخ التى كان قد أخفاها بين طيات ملابسه ، وخرج وأغلق الباب على اخيه الذى كان يتوسل إليه أن ينقذه ولكن إذ قسى الشيطان قلبه تركه فى دمائه ولم يلتفت إلى توسلاته وأتجه إلى سوزانه التى ما أن علمت بجريمته ووجدت البوليس يطرق بابها حتى تنكرت له وطالبت بتوقيع أقصى عقوبة على هذا الإنسان المتوحش ، ولكن البوليس الذى قبض على وديد لم يترك سوزانه أيضاً حرة طليقة ...

لقد مات وديع شهيداً فَكرّمته السماء وكرّمته الكنيسة وخير شاهد على هذا صلوات الجنازة وعظة ابونا حنانيا التى هزت القلوب وزفه الشمامسة إذ حملوا الصندوق على الأعناق وطافوا به أرجاء البيعة يطوّبونه على محبته

وأمانته ويهنئونه باكليل الشهادة ....

طوباك ياوديع يا من فزت باكليل الشهادة ...

طوباك ياوديع يا من عشت أمينا وديعاً للنفس الأخير...

طوباك ياوديع يا من مت وديعاً ولم تقابل الشر بالشر ...

طوباك ياوديع يا من صرت مثل حمل وديع قُدم للذبح ولم يفتح فاه ...

طوباك ياوديع يا من تشبهت بالحمل الحقيقى الذى ذبُح على عود الصليب من أجل خلاصنا ...

انتهت مراسيم الجنازة والعزاء واستضافت ماكرينا الست أم وديع عدة أيام لأن أعصابها لم تتحمل المبيت فى الشقة التى قُتِل فيها إبنها ... أنها فى حالة يرثى لها فإبنها الكبير مقتول وإبنها الصغير معدوم ... الست أم كريمة حذرتها كثيراً من المبيت فى شقتها بمفردها لئلا يخرج عليها عفريت المرحوم وأشارت عليها بأن تطبخ حلة عدس أصفر وتسكبها على مكان القتل .

العجيب إنه بعد وقوع الحادث وعلى مدار عدة ليالى كانت ماكرينا مع الست أم وديع تستيقظان ليلاً على صوت

ترانيم ملائكية شجية منبعثه من مكان الشهيد ، فأصَّرت الأم على العودة إلى شقتها تعيش فى أكناف إبنها الشهيد تسندها صلواته ... أما أصوات الترانيم الملائكية الشجية فقد فتحت طاقة على السماء للست أم وديع الشهيد التى نالت تعزية ليست بقليلة ، وصارت تتعجل أيام غربتها فى هذا العالم الفانى ، ومع هذا فإنها لم تكف عن التوسل لله بدموع من أجل إبنها وديد ليحرك الله قلبه بالتوبة ، ويسمح ويجمع شمل الأسرة ثانية فى الملكوت السماوى .



الفصل الحادى عشر

ياربى يسوع المسيح .. أتوسل إليك لا تقصينى عنك

مرّ على وصول شريف إلى بيت المجدلية ثلاثة أعوام ، وقد رُزق المهندس ماركو بإبن أسماه ماريو وإبنة دعاها مارينا ، وفى يوم أحد الشعانين بينما بيت المجدلية يبتهج بالملك السمائى الداخل إلى أورشليم من أجل خلاصنا .....

أحضر ماركو لأولاده أبناء المجدلية أغصان النخيل وذهبوا جميعاً إلى كنيسة الشهيدين يحملون الأغصان وقد صنعوا منها قلوباً جميلة مزينة بأوراق الورود ، ولكن هذه الأغصان لم تشغلهم عن اللقاء القلبى مع ملك السلام ، ورغم شدة الزحام الذى لا يماثله يوم آخر من أيام العام إلاّ أن ماركو وابناء المجدلية قد استطاعوا التركيز فى القراءات والصلوات وسماع العظة ، ومع نهاية القداس كانوا قد شعروا أنهم فعلاً فى أورشليم ، وهوذا لعازر الذى لم يعد يهاب الموت ويخشاه مع إبن أرملة نايين يهتفان

للذى له سلطان على الموت والحياة ، وهوذا مريم المجدلية التى لم تعد تخشى الشياطين يدفعها حبها إلى التزاحم مع المتزاحمين والمتزاحمات لتكون قرب حبيبها الذى خلصها من الشياطين السبعة ، وهوذا التلاميذ يفتخرون بسيدهم سيد الكل ورب الكل ، وهوذا الأطفال مع إبنة يايرس يهتفون لرب الحياه " هوشعنا يا إبن داود ... مبارك الأتى باسم الرب " ... حقاً إنه يوم مبهج .. مبهج .. مبهج .

وبعد انتهاء صلوات قداس العيد السيدى بدات صلوات الجناز العام . ثم رش ابونا حنانيا الشعب كله بالماء حتى لو حدث وانتقل أحد المصلين تكون الكنيسة قد صلّت عليه مسبقاً لأنها مشغولة طوال الأسبوع بآلام فاديها .

عاد ماركو مع أبناء المجدلية كالعادة يتناول معهم طعام الغذاء ، والأمر لا يخلو من التعليقات اللطيفة من شريف الذى قال :

" أنا النهاردة حضرت جنازتى وعدت حياً ... "

ابتسم ماركو وقال :

وأنا ايضا يا شريف ..

وفيما هم يتناولون طعامهم بابتهاج وبساطة قلب ، شموا رائحة تسرب غاز بوتاجاز يعبئ المكان بسرعة رهيبة ... أمرهم ماركو بترك الطعام ومغادرة المكان على الفور لدقائق قليلة ، وكالعادة أطاع الجميع ولم يتبقى فى الشقة غير ماركو وشريف الذى أبىَ أن يترك صديقه ماركو بمفرده ... تضاعفت الريحة جداً فى ثوان قليلة وأسرع ماركو إلى المطبخ ليغلق الأنبوبة ، وأسرع شريف ليفتح النوافذ فدخل إلى حجرته كعادته ودون قصد ضغط على زرار النور الذى أحدث شرراً ، وكأنه ضغط على زرار الجحيم ... أشتعل الهواء فى لمح البصر ... اندفعت نافورة النار من انبوبة البوتاجاز تمنع ماركو من الأقتراب ... النيران تضغط على باب الشقة فتغلقه .... الستائر والمفروشات تحترق ... ماركو وشريف يحترقان فى الأتون ... محاولة ماركو للوصول إلى طفاية الحريق باءت بالفشل فأخذ يصرخ في شريف أن يترك المكان ويهرب ... شريف يلقى بنفسه من شرفة الدور الثالث العلوى ... كل شئ يحترق .. يحترق .. يحترق .. حتى الهواء يحترق ..

ينجح ماركو فى فتح باب الشقة ويهرب ... هبط إلى أولاده الذين كانوا يصرخون بالخارج فلم يعرفونه ... الحروق غطّت معظم جسده .. جعلته كأنه يرتدى رداء ارجوانياً .. النار تلتهم فى سرعة رهيبة كل شئ .. الدخان الأسود الكثيف يحول النهار إلى ظلمة مدلهمة ويلتهم الأكسجين المحيط بالمكان ... الأبطال الصغار يحاربون النيران وقد حمل بعضهم الرمال وبعضهم انتزع طفايات الحريق من السيارات التى توقفت تشاهد المنظر الرهيب ... تعرض بعضهم إلى الأختناق فحمله الآخرون خارج المبنى .

اصوات عربات المطافئ وسيارات الإسعاف تدوى فى المكان ... رجال المطافئ يحاولون السيطرة على الموقف حتى لا تحترق العمارة بالكامل .. سيارات الإسعاف تحمل شريف الذى تحطمت عظامه وماركو الذى ... والذين اصيبوا بالإختناق إلى المستشفى.

تم علاج جميع الذين اصيبوا بالإختناق ، ودخل شريف إلى العناية المركزة وماركو إلى قسم (أ) خروق .

ابونا حنانيا وشعبه لا يكفون عن الصلاة من أجل ماركو وشريف .. زوجة ماركو واخوته مرثا ومينا وميخائيل وأمهم يعيشون على اعصابهم ولا يكفون عن الصراخ الصامت بدموع غزيرة للمخلص الفادى ... أولاد المجدلية مع أمهم ماكرينا يصومون للمساء ويقفون بالساعات يصلّون بلجاجة صلوات نارية صاعدة من قلوب محترقة تهز اساسات السماء ، وإستجابت السماء فأبرق حولهم نور سماوى مرتين عزاهم وشدّد إيمانهم وشعروا بأن السماء ليست ببعيدة عنهم .

أعلن الطب فشله .. وصرح بان الموضوع يحتاج إلى معجزة ، وفى قسم الحروق كان ماركو محتفظاً بوعيه ولا يكُف عن ترديد عبارة واحدة :

ياربى يسوع المسيح ... أتوسل إليك لا تقصنى عنك .

ياربى يسوع المسيح ... أتوسل إليك لا تقصنى عنك .

وقد ترأف الرب الإله عليه ونظر إلى محبته وخدمته وأمانته وبذله وتضحيته من أجل إخوته الصغار ، ونظر إلى صلوات أسرته وأبناء المجدلية عنه فأرسل إليه رئيس

الملائكة الجليل روفائيل ليصاحبه خلال رحلة الصليب هذه ، وما أن رآه ماركو إلاً وطاب قلبه وامتلأ فرحاً وعزاءاً ، وما أن ظلل رئيس الملائكة على ماركو إلاً وزالت الآلام الرهيبة التى لا يحتملها إنسان ، وجرى حديثاً حلواً عذباً جميلاً بينهما مما أثار دهشة الأطباء والممرضات إذ يرون ماركو يتحدث ولا يرون من يتحدث معه فظنوا إنها اطغاث الموت وسكراته ... التمس ماركو من رئيس الملائكة روفائيل أن يتركه ويذهب إلى حبيبه شريف ليخفف آلامه فأخبره رئيس الملائكة بأن هناك خمس ملائكة مع شريف يظللون عليه ولكنه لا يراهم .

وفى التاسعة من صباح الثلاثاء سرت الأخبار الحزينة التى هزت القلوب ثانية وأدمت العيون ...

لقد أنتقل شريف إلى فردوس النعيم ، وبعدها بساعة واحدة إنتقل حبيبه المهندس الخادم الأمين ماركو ، وفى ظهر ثلاثاء البصخة والكنيسة مجللة بالسواد اصطف أبناء المجدلية ومعهم مينا وميخائيل وأندرو الصغير والطفل ماريو يرتدون البنطلونات السوداء والقمصان السوداء

والبابيونات السوداء .. يحملون الشموع ويحيطون بصندوق صغير وصندوق كبير مُكللان بالورود .. وُضع الصندوقان فى صحن الكنيسة وقد تبللا بدموع أبناء المجدلية ودموع الشموع ، وفى وسط حشد عظيم من الكهنة والشمامسة والشعب بدأت صلوات الساعة السادسة والتاسعة من يوم ثلاثاء البصخة المقدسة التى لمخلصنا الصالح ، والكنيسة على اتساعها لم تكفِ المشيعين الذين بلّلت دموعهم مناديلهم والمشيعات اللاتى ينتحبن فى صمت ، أما زوجة ماركو وأمه فقد أثارا شفقة الجميع ..

وداعاً حبيبى ماركو ... وداعاً أيها الخادم الأمين ....

وداعا حبيبى شريف ... وداعاً أيها الملاك الصغير ...

تبـاً لـك مـلك الأهـوال

اليوم تنتصـر وغداً ستندحـر

أخر عدو يبطل هو المـوت

يا نفسى أبكى على نفسـك

يا نفسى أبكى على خطاياكِ



الفصل الثانى عشر

ابنى ... أتوسل إليك لا تعلق روحى

بعد الجنازة وتقّبل العزاء عادت ماكرينا إلى منزلها بعد عناء يوم طويل استمر منذ صباح الأحد وحتى مساء يوم الثلاثاء .. إنها لم تذق طعم النوم إلاّ دقائق معدودة متفرقة كانت تستسلم فيها للنوم وقلبها مستيقظ ، وكلما تنبهت إلى نفسها تصرخ لإلهها متشفعة بحبيبتها وشفيعتها المجدلية .

القت بجسدها الذى صار ثقيلاً جداً مثل تل من الرمال على سريرها ، ومازال النوم يجافيها فأخذت تسترجع الأحداث المأساوية وتحاجّج الله :

ما هذا الذى حدث ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

أنت ضابط الكل .... لماذا لم تعديها بسلام ؟

هل هذا إنذار لشعب كنيسة الشهيدين ؟ .. ربما .. ولكن .. هل نحن كبش الفداء ؟

أخذتَ زوجى وأنا وهو فى ريعان الشباب ..

واليوم تأخذ أخى وشريكى فى خدمتك ..
عكازى الذى اتوكأ عليه ..
لِمَ هذه القسوة التى لا طاقة لنا بها ؟
هل هكذا هى حياتنا على الأرض .. اشغال شاقة مؤبدة مدى الحياة ونهايتها الحكم بالأعدام ؟!
أريد أن أعترض .. ولكن ما فائدة اعتراضى الآن ؟
أريد أن أحتج لديك يا ضابط الكل .. ولكن ما جدوى احتجاجى ؟
ما رأيك فى الأرملة المكلومة وهى تحمل رضيعتها ؟
وما رأيك فى الأم الثكلى التى فقدت كل تعزية ؟
هل أنت عالٍ فى سماك ، وما نحن إلاّ دود الأرض ليس لنا ولا لحياتنا قيمة عندك ؟
ألعلّى لا أفهم الحكمة التى تحكُمنا بها ؟
ولماذا لا تُفهَمنى وتكشف عن عينى ؟

وبدأت ماكرينا تسقط فى خطايا التذمر، والشك فى محبة الله و....

وبينما هى تائهة فى أفكارها ، وإذ محب البشر يكشف

عن عينيها فتلمح على سريرها أربع نسوة يحطن بها يتحدثنّ ويثرثرنً ، ومن حديثهنّ علمت اسمائهنّ ... إنهنّ الشفقة ، ومكامن الأسى ، والكآبه ، والتذمر ، وكل منهنّ يظهر إسمها من ملامحها ... فالشفقة تتمتع بجمال خلاب وبراءة الأطفال فى عينيها ولكنها مكلومة بسبب الأحداث ، ومكامن الأسيِ تحمل فى يدها آلة صغيرة تَعرِض بها مشاهد الأحداث المأساوية وكلما إنتهت منها تعيد عرضها ثانية متمادية فى إظهار بشاعتها وقسوتها ، والكآبة صامتة جامدة مثل تمثال . نظراتها تائهة ودموعها تنهمر بلا توقف ، أما التذمر فيظهر على وجهها التكشيرة وانعدام الرضا .

ظلت النسوة يثرثرنّ بأقوال وتساؤلات واحتجاجات وتذمرات وتجاديف حول ماكرينا حتى صارت رأسها تلف وتدور .. تلف وتدور وكأنها مُعلّقة من شعر رأسها فى مروحة كهربائية لا تتوقف . عندئذ بدأنّ ينسحبنّ من على سريرها واحدة تلو الأخر إلى الصالة حيث أخذن يرقصنّ رقصاتهنّ الشيطانية متلذذات بعذاب ماكرينا المسكينة ، وقد علت ضحكاتهن ورقصنَّ حتى نُكشت شعورهنّ وتغيرت

اشكالهنّ وظهرنّ علـى حقيقتهـنّ ... أنهـنّ ارواح شـريرة .
فصرخـت ماكرينـا " يـا مـلاك اللـه .. يـا ميخـائيل رئيـس
الملائكة الجليل " ... فإذ بنور يبرق حولها مثل النور الـذى
رأته بالأمس فى بيت المجدلية ، وإذ برئيس الملائكة الجليل
ميخائيل يظهر شاهراً سيفه النـارى فتهـرب الشـياطين مـن
أمامه مولولة .

انسابت دموع ماكرينا ... دموع الإعتذار لحبيبها يسـوع
الذى شكّت فى محبته ، وتذكرت إنها ذهبت إلى سريرها
باكيـة دون أن تُصلّـى ... نهضـت وهبّـت واقفـة أمـام
المصلوب تقدم صلواتها وعباداتها فى صمـت دون أن تُفتـح
فاها أو تُحـرك شفتاها . لكنها قدمت مشاعرها مثل إبنـة
صغيرة عصفت بها الأعاصير بعيداً عن كل ملجأ أو حمايـة
أو صديق ؛ فصـارت عيناهـا ترنـو إلـى أبيهـا الحبيـب
المصلوب من أجلها لكيما يمد يده وينتشلها من الحزن القاتل
ووجع القلب والضياع والشك .

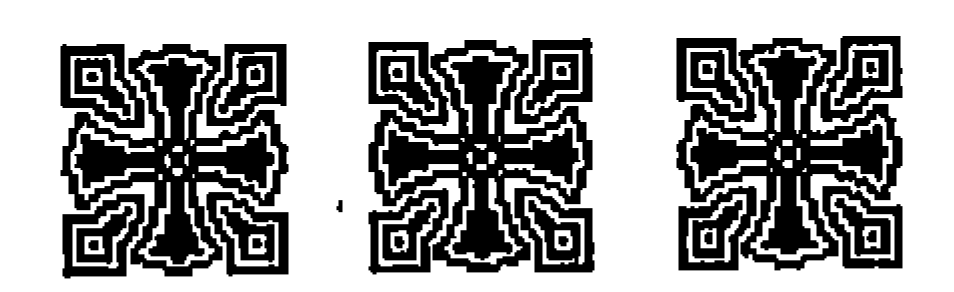
وفى الساعة السادسة نهضت ماكرينا على صـوت رنيـن
جرس التليفون يحمل لهـا خبر انتقـال " المقدس دانيـال "

الرجل الطيب الذى طالما قدم جهده ووقته وصحته لأبناء المجدلية ... ذهبت ماكرينا إلى بيت المرحوم دانيال وهناك وجدت راحة عجيبة وعزاء لروحها المسكينة .. كيف ؟

وجدت زوجة عم دانيال وإبنه سامى وأبنته دينا فى رضاء كامل ، وكأن عم دانيال نائم لفترة قصيرة يستيقظ بعدها ... روح الرب يرف على المكان فيسكب العزاء والسلام فى قلوبهم ، ولقد ذهبت هى لتعزيهم فإذ هم فى صمتهم ورضاهم يعزونها أكبر تعزية ... أنهم يشعرون أن أباهم أدى الرسالة التى عليه وكان محباً لإلهه ولإخوته وخدم الجميع بتواضع وإنكار ذات ، ومما زاد تعزيتهم ما حدث قبيل وفاته بعشرة دقائق ..إذ أنه دخل فى غيبوبة منذ ثلاث أيام وإبنه سامى كان مسافراً فى الخارج ، وعلى غير توقع حضر الإبن ففاق الأب من غيبوبته وعانقه واستراحت نفسه المعلقة وبعد عشر دقائق صعدت روحه إلى الفردوس .. تأملت ماكرينا وجه عم دانيال نائما وقد إرتسمت على محياه ابتسامة الرضا والسلام وكأنه يستهزء بالموت صارخاً فى صمته :

" أين شوكتك يا موت ؟! أين غلبتك يا هاوية ؟! "
مجداً لإلهنا الحى الذى " أبطل الموت وأنار الخلود "
وهزم لنا ملك الأهوال ، وغداً سنكون معه فى الأمجاد السعيدة حيث لا يوجد الموت فيما بعد ...
إعطنا يارب أن نكون امناء فى حياتنا حتى النفس الخير .

ولإلهنا المجد دائما أبدياً
أميــــن
إبريل ١٩٩٨م



اقرأ وافهم - كتابنا المقدس :

أولا : عهـد قديـم ١- سفر عزرا ٢- سفر نحميا

ثانيا : عهد جديـد ١- رسالة فيلبى ٢- رسالة كولوسى

اقرأ وافهم - مجموعة ايمان كنيستنا

١- الكتاب المقدس .. هل يُعقل تحريفه؟

٢- انجيل برنابا .. هل يُعقل تصديقـه؟

٣- التثليث والتوحيد .. هل ضد العقل؟

٤- التجسد الالهـى .. هـل لـه بديـل؟

٥- الوهية المسيح .. من يخفى الشمس؟

٦ - الصلـيب .. هـل ننجـو بدونــه؟

٧- الخروف الضـال .. وكيف يضـل ؟

مجموعة استقامة كنيستنا تشمل على:

١. البدع والهرطقات فى القرون الخمسة الأولى .

٢. يـا اخوتنـا الكاثوليـك .. متـى يكون اللقـاء ؟

٣. يـا اخوتنا البروتستانت .. هلمـوا نتحـاور .

جـ١ فى الماضى جـ٢ طوائف شتى محتجه جـ٣ احتجاجات وردود

٤. الأدفنتست .. ظلمـة المـوت .

٥. شهود يهوه .. هوه الهلاك . ٦. المذاهب المنحرفة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩١٥٩ / ١٩٩٨.

قداسة البابا شنودة الثالث يحمل رأس شهيد من أخميم.

روايات ايمانية :

- غروب
- فى النم نام
- أيام فى نجران
- كنز قمران
- البحار المغامر
- جبال طرسوس

الثمن ١٠٠ قرشاً

